13 me Année No. 608

Lundi - 26 - 2 - 1945

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٠٨ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

المجـــامع اللغوية(*)

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميل بك

قالوا إن الإنسان حيوان ناطق، أى إنه مالك تلك القوة التى تساعده على التعبير عما يجول فى جنانه من الأفكار والمعانى. فكان من البديهى أن يحاول، منذ نشأته الأولى، استنباط خير الوسائل إلى أداء ما يريد التعبير عنه على أكمل وجه، بالاشارة ثم باللسان، أصواتاً متقطعة فألفاظاً منسقة. وكان من الطبيعى كذلك أن يتواضع مع أمثاله على أساليب للتعبير تكفل اتقان أداة التفاهم، أى اللغة، والوصول بها إلى الإعراب عن مختلف المعانى فى أدق مقاصدها.

ومن هنا نشأت على توالى الزمن الأندية والمجامع التى تعنى باستكمال هذه الأداة، وهى المجامع التى أطلق عليها فيما بعد اسم «اكاديميا».

وأصل الكلمة، على ما هو معروف، مشتق من اسم «اكاديموس» أحد أبطال الأغارقة. وكان «اكاديموس» هذا يملك على بعد فرسخين من أثينا روضة واسعة الأرجاء كان أفلاطون يختلف إليها فيجتمع تحت ظلال أشجارها الباسقة بتلاميذه ومريديه فيشرح لهم مذهبه الفلسفى. وبعد وفاته ظل هؤلاء يعقدون حلقاتهم للبحث والمدارسة فى هذا المكان فعرف باسم «اكاديميا» نسبة إلى صاحبه. وشاعت الكلمة بعد ذلك فى البلاد الغربية، مع توسع فى مدلولها، فأطلقت على المجامع والأندية الأدبية والعلمية والفنية، بل تناولت المعاهد التى يدرس فيها بعض الفنون كأكاديمية التصوير، أو الغناء، أو الرقص، حتى إن الفرنجة اشتقوا منها صفات وموصوفات وأفعالا، وكثيراً ما استعملت الكلمة فى لغاتنا الشرقية نفسها.

وعلى هذا الأساس نشأت أكاديمية البطالة فى الاسكندرية، والاكاديميات العبرية، وأكاديمية شارلمان، وأكاديمية الفريد الكبير فى انجلترا.

أما العرب فقد قامت أسواقهم ومجالسهم — وأشهرها سوق عكاظ ونادى قريش ودار الندوة — مقام هذه الاكاديميات. فكانوا فى مجتمعاتهم هذه يتبادلون الأخبار ويتناشدون الأشعار ويبحثون فى شؤونهم العامة. وكان للغة نصيب غير قليل من هذا البحث، كما تدل على ذلك حكاية النابغة مع الأعشى والخنساء. ثم صار بلاط الخلفاء فى الشام والعراق والأندلس ومصر أشبه شىء بهذه الندوات الأدبية والفنية، كما هو مفصل فى كتب الأدب.

(*) نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ فى حفلة افتتاح المؤتمر لمجمع فؤاد الملكى للغة العربية.

أما انتشار هذه المجامع بمعناها الحديث فقد بدأ في عهد النهضة أو البعث ، وبخاصة في ايطاليا ، فقام في كل مدينة جمعية اكاديمية أو أكثر تضم الصفوة المختارة من المفكرين والباحثين في مختلف الفنون والعلوم .

ولم تلبث فرنسا أن حذت حذو ايطاليا فنشأت فيها مثل هذه الجمعيات وازدهرت .

وفي غضون ذلك أخذت اللغات الأوربية تتطور وتصقل بتأثير طبيعة كل إقليم وأخلاق ناسه ، وكان لهذه الأكاديميات أثر مذكور في هذا التطور ، فتمازت لغة كل قوم بطابع خاص عرفت به ، حتى أن كارلوس الخامس المعروف باسم « شارلكان » وهو أول من فاخر بان الشمس لا تغيب عن املاكه — كان يقول :

« إني إذا خطبت الله ضارعاً خاطبته بالإسبانية . وإذا خاطبت النساء متحببا خاطبتهن بالإيطالية . وإذا خاطبت جوادي زاجراً خاطبته بالألمانية . وإذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية » .

وهو يشير بقوله هذا إلى ما في لغة الإسبانيين من الإجلال والتفخيم ، وإلى ما في لغة الإيطاليين من الرقة والعذوبة ، وإلى ما في لغة الألمان من العنف والشدة ، وإلى ما في لغة الفرنسيس من الوضوح وحسن البيان .

وهل نغالي إذا قلنا إن هذا العاهل العظيم لو كان يعرف اللغة العربية لغني بها عن غيرها في مواقفه الأربعة ، فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب إلى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

قلنا إن الاكاديميات انتشرت في عصر النهضة وبعده ، وتنوعت أهدافها واختلفت مقاصدها ، ولكننا اكتفينا بالاشارة اليها اشارة عابرة لنقف عند مجامع اللغة ، ونقارن بين مهمتها ومهمة مجمعنا اللغوي ما دام هذا موضوع حديثنا . ومن خلال هذه المقارنة سنرى وجوه الشبه في الأهداف ، وفي الصعوبات المعترضة ، وكذلك في ضروب النقد الذي يوجه إلى هذه المجامع

وأشهر المجامع اللغوية بلا مراء « الاكاديمية الفرنسية » التي قال عنها المؤرخ الإنجليزي هالام (Hallam) إنها أشهر مؤسسة في تاريخ الأدب ، وهي كذلك أقدم المجامع القائمة إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى أكثر من ثلثمائة سنة . ذلك أن الوزير الكبير الكردينال ريشليو نهض يعمل على نشر نفوذ فرنسا في أوربا ، فأراد أن يدعم عن طريق نشر لغتها وثقافتها ما أحرزته من جاه وسلطان عن طريق انتصارات جيوشها .

وكان في ذلك العهد لفيف من الأدباء يجتمعون للنظر في منتجات القرائح وفي الموضوعات الأدبية . فخطر للوزير أن يجعل لهذه الاجتماعات صفة رسمية تعلي شأن الأدب في الدولة وترفع مكانته في أوربا ، فاستصدر في شهر يناير من سنة ١٦٣٥ أمراً ملكيا بانشاء « الاكاديمية الفرنسية » ولكن السياسة عادة لا تحب الأدب ، فخشي البرلمان أن يطغى نفوذ هذه الندوة الأدبية على نفوذه وسلطانه فلم يقر إنشاءها إلا بعد سنتين

أنشأ ريشليو هذا المجمع فكان موضع عنايته . وظل اسمه مقرونا به حتى قيل إن إنشاء الاكاديمية الفرنسية كاف وحده لتخليد اسم هذا الوزير الخطير . وفي سنة ١٦٧٢ أصبح هذا المجمع في كنف الملك لويس الرابع عشر فشمله برعايته وأغدق عليه من نعمه الشيء الكثير .

ومضت « الاكاديمية » تعمل قرابة قرن ونصف قرن إلى أن قامت الثورة الفرنسية الكبرى تحارب طبقة الأرستقراطيين أو الأشراف ، فألغت في شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ « الاكاديمية » لأنها كانت تمثل أرستقراطية الفكر . ولكنها ما لبثت أن عادت بعد سنتين فأقرت وجودها . وظل هذا المجمع بين مد وجزر إلى أن أصبح منذ سنة ١٨٣٢ إحدى الهيئات الخمس التي تألف منها المعهد العام (l' institut) وهي الاكاديمية الفرنسية ، واكاديمية الفنون الجميلة ، واكاديمية النقوش والآداب ، واكاديمية العلوم ، واكاديمية العلوم الفلسفية والسياسية .

ولا بد لي من الإشارة هنا إلى أن في اضابير وزارة المعارف عندنا مشروعا بانشاء مثل هذا المعهد العام في مصر على أن يؤلف من خمس شعب هي : شعبة العلوم ، وشعبة الطب ، وشعبة الآداب ، وشعبة الفنون ، وشعبة العلوم السياسية والإقتصادية ، إلى جانب مجمعنا اللغوي . ولعل زميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، وقد كان له اليد الطولى في إعداد هذا المشروع ، سيحدثنا عنه الحديث الوافي في الوقت المناسب

عرضنا فيما تقدم موجزاً لتاريخ الاكاديمية الفرنسية وكان عدد أعضائها ولا يزال اربعين عضواً يسمونه « الأربعين الخالدين » لا لأن آثار كل منهم كفيلة بتخليده ، بل لأنهم كلما مات منهم

واحد حل محله آخر . ولعل كلمة « الأبدال » العربية تؤدى مثل هذا المعنى . فقد جاء فى لسان العرب : الأبدال قوم من الصالحين (ولنفرض رجال الأدب من أهل الصلاح) أربعون فى الشام وثلاثون فى سائر البلاد لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر . وجاء فى اللسان أيضا : الأبدال الأولياء والعبّاد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .

أما أهداف الاكادمية الفرنسية فقد حددتها المواد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من الأمر الصادر بإنشائها ، وتتلخص فى العمل على تطهير اللغة واستكمالها وتركيز قواعدها . وكان المفروض أن يحقق ذلك بتأليف المعجم لتحديد الألفاظ ، وكتاب النحو لتركيز القواعد . وعلم العروض لميزان الشعر ، وعلم البلاغة لأحكام الكلام .

وهذه الأغراض تكاد تكون وأغراض مجمعنا واحدة فقد جاء فى المادة الثانية من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ما نصه :

« أغراض المجمع هى :

(ا) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو فى تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ج) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية ، مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية »

على أن المجمع الفرنسى لم يلبث أن قصر همه على إعداد المعجم ، ثم على دراسة المنتجات الأدبية لمنح الجوائز للمتفوقين من الأدباء . ومع ذلك فان تصنيف هذا القاموس سار ببطء قد نجد فيه بعض العذر عن التأخير فى إنجاز قاموس مجمعنا . فان الطبعة الأولى منه لم تصدر إلا فى سنة ١٦٩٦ ، أى بعد ستين سنة من إنشاء الأكادمية ، ثم صدرت منه أربع طبعات فى القرن الثامن عشر ،

أما الطبعة الثامنة والأخيرة فقد صدرت منذ عشر سنوات ، أى أن الأكادمية أصدرت ثمانى طبعات من معجمها فى ثلثمائة سنة من حياتها .

وقد رجعت إلى مقدمة هذا المعجم فوجدت وجوه الشبه كثيرة بين عملهم وعملنا . وبخاصة بين العقبات التى اعترضتهم والتى تعترضنا . فى الطبعة الأولى التى صدرت منذ ٢٥٠ سنة قررت الأكادمية أن تقصى من قاموسها المصطلحات العلمية والفنية إلا ما كان منها كثير الذيوع شائع الإستعمال . ولكن استعمال هذه المصطلحات ما لبث أن ذاع ذيوعا كبيراً بازدياد تذوق العلوم والفنون فى القرن الثامن عشر ، فلم ير المجمع مفراً من أن يفسح صفحات قاموسه فى طبعته الرابعة (سنة ١٧٦٢) للمصطلحات الأولية فى العلوم والفنون والمهن مما يحتاج اليه الكاتب ويجده القارىء حتى فى المصنفات التى لا تتناول هذه الموضوعات بالذات . ثم جاء فى تصدير الطبعة السابعة (سنة ١٨٧٧) ان الأكادمية ارتضت أكثر من ألفى كلمة علمية وفنية لشدة الحاجة إليها .

ولما شرعت تعد الطبعة الأخيرة التى صدرت منذ عشر سنوات كانت الكلمات العلمية والفنية قد طغت على اللغة ، فان العلوم القديمة فى عالم البخار والكهرباء والآليات قد تجددت معالمها وتعددت فروعها ، وظهرت علوم ومخترعات جديدة ، كما حدثت انقلابات كبيرة فى عالم الإقتصاد والسياسة والإجتماع مما دعا إلى استنباط عدد كبير جداً من المصطلحات ذاعت وشاعت وعم استعمالها بين جميع الطبقات بفضل المدرسة والصحافة . ولاحظت الأكادمية أن من هذه المصطلحات ما هو ابن يومه ومصيره إلى الزوال ، ومنها ما هو مضطرب الإشتقاق ، وليد الارتجال . فلم يكن بد من التمحيص والتروى طويلا قبل إقراره ، شكلا وصيغة ، لإدماجه فى قاموس المجمع .

وبعد تخير هذه الألفاظ وصقلها وتهذيبها ، واجه المجمع صعوبة أخرى ، كالتى نواجهها فى مجمعنا اللغوى ، وهى وضع التعريف الجامع المانع ، للكلمة المختارة . فكانت الأكادمية كثيراً ما تحتاج فى كل ذلك إلى الاستعانة بالأكادميات الأخرى — كأكادمية العلوم وأكادمية الفنون وأكادمية الطب أو إلى

الاسترشاد بآراء الاخصائيين والخبراء فى المادة المبحوثة كما نفعل هنا

ولم تقتصر مهمة التحديد والتعريف على المصطلحات الجديدة بل امتدت إلى كثير من الكلمات القديمة التى كان تحديدها ناقصا أو غامضا أو التى تطور مدلولها مع الزمن . وعملت الأكاديمية كذلك على حذف الكلمات المائة أو المهجورة، فأزالتها من قاموسها ، وأحالتها إلى معجم اللغة التاريخى ، كما أحالت إلى المعجمات الخاصة أسماء الأعلام والمسميات الجغرافية وما إلى ذلك مما لايتسع له معجم اللغة .

وقد عرضت الأكاديمية الفرنسية كذلك لما نعرض له الآن من تبسيط قواعد النحو وتسهيل القراءة . وانتهى بها الأمر أن أعلنت أنها لاتدعى التشريع فى القواعد ، ولا الوصاية أو القوامة على الإملاء . بل اكتفت بما قام به أحد أعضائها فى الطبعة الرابعة من قاموسها منذ نحو قرنين من إدخال تعديل على كتابة عدد كبير من الكلمات كانت تدخل فى هجائها أحرف لافائدة منها سوى الدلالة على أصلها اللاتينى أو اليونانى . وأبى المجمع فى الطبعات التالية أن يسير إلى أبعد من ذلك ، مكتفيا بصورة الإملاء التى أقرها الاستعمال الطويل والتى طبعت بها ألوف المصنفات المنتشرة فى العالم ، ورأت أن تغيير هذه الصورة فى الكتابة يدخل البلبلة والاضطراب فى الأفكار مقابل فائدة ضئيلة لايؤبه لها .

أما نحن فلم نصل إلى هذه المرحلة التى وصلوا إليها ، وقد نكون فى المرحلة التى كانوا فيها منذ قرنين فنحتاج إلى شىء من التبسيط فى القواعد وإلى بعض التعديل فى كتابة الكلمات . دون مساس بالجوهر .

ومن يمعن النظر فى تنوع الصعوبات عند إعداد القاموس الواف يجد من التجنى على المجامع اللغوية اتهامها بالبطء فى عملها . وإذا كان المجمع الفرنسى قد سلخ ثلثمائة من السنين للتغلب على جانب من هذه الصعوبات فان لمجمعنا ، وهو لا يزال فى عهد الطفولة بعد عشر سنوات فقط من إنشائه ، بعض العذر ، بل كل العذر ، فى عدم تحقيق جميع الأغراض التى أنشىء من أجلها ، لاسيما وأن الصعوبات التى واجهت غيرنا تباعا قد واجهتنا مرة واحدة مجتمعة .

أيها السادة : قلنا إن المجمع الفرنسى هو بكر المجامع اللغوية القائمة ، وعلى منواله نسجت المجامع التى أنشئت فيما بعد فى البلاد الأخرى ، لذلك نستطيع بعد أن تبسطنا فى سرد تاريخه وبيان مهمته أن نمر سراعا بسائر المجامع .

ففى سنة ١٧٠٠ أنشأ فردريك الأول مجمع العلوم فى برلين بأيماز من الفيلسوف ليبنتز ، وقد حول فردريك الثانى الكبير هذا المجمع إلى « الأكاديمية الملكية للعلوم والآداب » وكان رئيسها فى أول أمرها العالم الفرنسى موبرتوى . وظلت تقاريره تطبع بالفرنسية من سنة ١٧٤٦ إلى سنة ١٨٠٤ . وكان لهذا المجمع فيما بعد أثر كبير فى ازدهار العلم الألمانى .

وأنشئت أكاديمية مدريد فى إسبانيا سنة ١٧١٣ برعاية الملك فيليب الخامس ، فوجهت همها إلى وضع معجم وأجرومية أصبحا مرجعين بل حجتين فى اللغة فى إسبانيا والجمهوريات اللاتينية بامريكا الجنوبية .

وفى سنة ١٧٧٢ أنشئت فى بلجيكا الأكاديمية الملكية وأعيد تنظيمها فى سنة ١٨٤٥ فقسمت ثلاثة أقسام : قسم الآداب وقسم الفنون ، وقسم العلوم . وكان معظم أعضائها من الفلاسفة والمؤرخين واللغويين والقانونيين ، وقل فيها الشعراء والأدباء فرأى القوم حاجتهم إلى إنشاء أكاديمية أخرى فأنشئت الاكاديمية الملكية للغة الفرنسية وأدبها فى سنة ١٩٢٠ .

وإذا كانت الأكاديميات قد نشأت فى مدن إيطاليا منذ نحو أربعمائة سنة فان الأكاديمية الكبرى لم تنشأ فى روما إلا فى سنة ١٩٢٦ وتم تنظيمها فى سنة ١٩٢٩ واشتملت على أربع شعب العلوم الطبيعية والرياضية ، والآداب ، والعلوم الفلسفية والتاريخية والفنون .

أما الشعوب الانجلو سكسونية من انجليز وأمريكان يعنوا بالمجامع اللغوية عنايتهم بأندية البحوث التاريخية والعلمية والفلسفية ، فالأكاديمية البريطانية والجمعية الملكية أو أكاديمية لندن ليستا بالمجامع اللغوية بالمعنى الذى نقصده ، فان القوم رأوا تبسيط لغتهم ما استطاعوا ليعمموا استعمالها ، حتى اهتدوا أخيرا إلى لغة مبسطة لايزيد عدد كلماتها على ٨٥٠ كلمة من الموصوفات والصفات والأفعال والحروف التى يحتاج إليها الإنسان فى الكلام .

أما فى الشرق . فقد ألف رهط الأدباء فى العواصم العربية

جميات أدبيـة لغوية كثيرة ولـكنها لم تـكن لتعمر طويلا لأن الحكومات لم تكن تؤيدها ، بل كثيراً ما كانت تناهضها ، إلى أن أنشىء المجمع اللغوى فى دمشق منذ ربع قرن ، وقد أدى للغة خدمات تذكر له بالشكر .

ويسرنا أن نحي هنا رئيسه الأستاذ محمد كرد على ووكيله الأستاذ عبد القادر المغربى ، زميلينا فى المجمع المصرى .

أيها السادة : وقفت بكم طويلا عند المجمع الفرنسى لأنه أقدم المجامع اللغوية وأشهرها ، فاسمحوا لى أن أقف بكم وقفة اخرى عند المجمع الروسى ، فهو أحدث المجامع واكثرها اختلافا فى تأليفه وأهدافه ، ونحن اقل معرفة به منا بغيره .

كان بطرس الأكبر قد أنشأ فى بطرسبورج سنة ١٧٢٥ أكادمية للعلوم . ثم تفرعت إلى شعب على غرار شعب الأنستيتو الفرنسى . ولـكن نظام هذه الأكادمية قد قلب رأسا على عقب فى روسيا السوفيتية ، حيث اصبحت الاكادمية العلمية بمثابة هيئة أركان الحرب فى معسكر العلم الروسى ، وأصبح لها الشأن الأول فى نهضة البلاد . وفى سنة ١٩٤١ قبيل اشتراك روسيا فى الحرب القائمة كان هذا المجمع مؤلفا من ٧٦ معهدا و١١ معملا للاختبارات العلمية ، و٤٢ محطة للتجارب و٦ مراصد و٢٤ متحفا. ويبلغ عدد الأعضاء الآن ١٥٠ عضواً ، وعدد الأعضاء المراسلين ٢٣٠ وهناك ٤٧٠٠ إخصائى يساعدون فى الشؤون العلمية والتطبيقية ، وقد نشر المجمع فى سنة ١٩٤١ من التقارير والنشرات الدورية ما يزيد على عشرة آلاف صفحة . وهذه الأكادمية مؤلفة من ثمانى شعب ، وهى شعبة الطبيعيات والرياضيات ، وعلوم الـكيمياء ، وعلم طبقات الأرض والجغرافية ، والعلوم البيولوجية والعلوم التطبيقية ، والتاريخ والفلسفة ، والاقتصاد والقانون ، والأدب واللغات . ويتبع كل شعبة عدد من المعاهد والمعامل والمتاحف .

أما شعبة الأدب واللغات فتشتمل فيما تشتمل عليه على معهد اكتسب أخيراً أهمية خاصة وهو معهد الابحاث الشرقية ورئيسه العلامة ستروف « Struve » من علماء الآثار المصرية . ومن بين أعضائه البارزين المستشرق كراتشكوفسكى (Krachkovski) الذى تخصص بالأدب العربى الحديث ، وهو من أعضاء مجمع دمشق ، وقد ترجم إلى الروسية بضعة مؤلفات لـكتابنا المعاصرين منها كتاب « الأيام » لزميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، كما أشرف على نشر مؤلفات ابن فضلان التى تحتوى على معلومات ثمينة عن أقدم عهود التاريخ الروسى . وفى هذا المعهد أيضا يعمل الحجة أرنستد (Ernstedt) الإخصائى فى اللغة القبطية . وقد أعد للنشر مخطوطات بهذه اللغة على جانب من الأهمية إذ تبحث فى تطور مصر الإقتصادى فى القرون الوسطى وهى تـكاد تـكون فريدة فى بابها .

وفى هذا المعهد مجموعة ثمينة من المخطوطات الشرقية من عربية وقبطية وإيرانية وصينية . كما أن فيه مكتبة شرقية ضخمة تعد من أغنى مكتبات العالم . وليست الدروس الشرقية محصورة فى معهد الأدب ، فإن لها كذلك نصيبا من أعمال معهد اللغة والفـكر ومعهد الأدب . وتدرس لغات الشعوب الشرقيـة الداخلة فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية فى معاهد أرمينيا وجورجيا والتركمان .

أيها السادة — قد يـكون من الظريف ، ونحن نعرض وجوه الشبه بين مجامعهم ومجمعنا ، أن نورد بعض ماوجه إلى هذه المجامع من سهام التهـكم والنقد البرىء وغير البرىء .

فهذا الشاعر الفرنسى بيرون Piron لم يتمكن من دخول الأكادمية فارسل اليها بوصيها بان تـكتب على ضريحه : (هنا يرقد بيرون وهو لم يـكن شيئا حتى ولا عضوا فى الأكادمية) وكان يقول عن الأربعين الخالدين : (هم أربعون ولـكن عقولهم عقول أربعة) .

وقال فولتير ، فى أسلوبه اللاذع ، يحدد الأكادمية : (هى هيئة يدخلها أصحاب الألقاب وكبار الموظفين ورجال الدين والقانون والأطباء والمهندسون وأحيانا رجال القـلم) . وهو يشير فى قوله هذا إلى بعض أعلام الأدب الذين لم تفتح الأكادمية لهم أبوابها من أمثال موليير وغيره . ولـكن الأكادمية عوضت موليير تمثالا نصبته بعد وفاته فى قاعة جلساتها وكتبت تحته : (لم ينقص مجده شىء ولـكنه هو كان ينقص مجدنا) .

وقال أحد النقاد (هذه المجامع اللغوية إن هى إلا ملاجىء للعجزة من الذين شوهتهم حرفة القلم) .

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٥ —

النسل ، الزواج

والنسل أفضل ما فعلتَ بها فإذا سعيت له فمن عقـــل

إذا شئت يوماً أن تقارن حرة من الناس فاختر قومها ونجارها

إذا خطب الحسناء كهل وناشئ فإن الصبا فيها شفيع مشفع
ولا يُزهدنها عُدمه ، إن مده لأربك من مال الكبير وأنفع
وما لأخى الستين قدرة سائر إليها ولكن عجزه ليس يُدفع
ويُخفض فى كل المواطن ذمه وإن كان يُدنى فى المحل ويرفع

إذا ما ابن ستين ضم الكعاب إليه فقـــد حلت البهله[1]
هو الشيخ لم يرضه أهـــله ولم يُرض فى فعله أهله
فلا يتزوج أخو الأربعين إلا مجــربة كهــله
رأى الشيب فى عارضيه المسن (م) فنعم القرين له الشهله[2]

وواجدة كفتك فلا تجاوز إلى أخرى تجئ بمؤلمات
ولا يتأهلن شيخ مُقـــل بمُعصرة من المتنعمات[3]
فإن الفقر عيب ، إن أضيفت إليه السن جاء بمؤلمات

إذا خطب الزهراء شيخ له غنى وناشئ عدْم آثرت من تعانق

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بهـا أبداً كعابا
فإن كانت أقل بهـــاء وجه فأجدر أن تكون أقل عابا

(١) البهلة — بالفتح وبضم — اللعنة ، ومنه حديث أبى بكر : من ولى من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله .
(٢) الشهلة : النصف العاقلة ، العجوز ، وذلك اسمها خاصة ، وامرأة شهلة كهلة ، ولا يقال : رجل شهل كهل ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل
(٣) المعصر والمعصرة هي التي بلغت عصر شبابها وأدركت

وقال آخر (هي جمعيات هازلة يحاول اعضاؤها أن يظهروا بمظهر الجد) .

ولكن ، مهما يقولوا ويتهكموا وينتقدوا ، ما فتئ مطمح كل كاتب وكل عالم وكل باحث فى البلاد الراقيـة الوصول إلى عضوية هذه المجامع التى يعتقد الكثيرون أن الكفاية والعقـل يقدمان فيها على الثروة وشرف الأصل . وقد قال الفيلسوف رينان فى ذلك : (إن صوت العلم قد يكون احيانا ضعيفا تجاه الجرأة والدجل ، ولكن هذا الصوت متى خفت ضجيج الشارع يستمر مسموعا ولا يسمع غيره . لذلك ومهما تشتد الحملات على المجامع العلمية ستكون الغلبة دائما فى النهاية لهذه المجامع لأنها الحارس الأمين على الأساليب الصحيحة ، وإذا كانت محترمة فى نظر عدد قليل ، فان هذا العدد القليل هو على حق . ولا يبقى إلا الحق) .

وتعرفون حكاية (بوانكاره) وقد يكون فيها أسطع دليل على مكانة هذه المجامع . وصل هـــذا الرجل العبقرى إلى رياسة الجمهورية وظل مع ذلك عضوا فى الأكادمية ، لا تشغله مهام الدولة عن حضور معظم جلسات المجمع ، بل كان يشترك فى التصويت عند انتخاب عضو جديد . وحدث أكثر من مرة أن فاز بالانتخاب من لم يكن قد أعطاه صوته وكان يوقع بصفة كونه رئيسا للدولة مرسوم تعيين الفائز وإن لم يكن مرشحه .

وعندما زار بوانكاره انجلترا فى شهر يونيو سنة ١٩١٣ وقف ملك الانجليز وهو ملك يستطيع أن يقول كما قال شارلكان إن الشمس لاتغيب عن أملاكه — وقف يرحب بضيفه رئيس الجمهورية الحليفة فقال :

« إنى سعيد بأن أرى فى ضيافتى رجلا ممتازا بخدمه الجليلة ، ذا شهرة بعيدة ليس فى عالم السياسة فحسب ، بل ايضا فى تلك الجمعية الأكادمية التى هى منذ ثلاثة قرون موضع فخر لفرنسا تحسدها عليه أوربا جمعاء » .

أيها السادة — من الأقوال المأثورة عند الفرنجة أن لا شئ ادعى إلى الملل والسأم من الخطب الأكادمية . وكان نصيبى من هذه الحفلة خطبة أكادمية فى أكادمية عن الأكادميات ، فاذا كنت قد أمللت وأسأمت فأرجو عذرا .

أنطون الجميل

وحسن الشمس فى الأيام باق … وإن مَجّت من الكبر اللعابا

ومن جمع الضرات يطلب لذة … فقد بات بالإضرار غير سديد

معاملة الصغار

ورفقاً بالأصاغر كى يقولوا … غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يوقوا … يُروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرُن صغاراً فى ملاعبهم … فجائز أن يُروا سادات أقوام
وأكرموا الطفل عن نكر يقال له … فإن يعش يُدع كيلا بعد أعوام

… وبالوالدين إحسانا

العيش ماض فأكرم والديك به … والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تُدمنه … أمران بالفضل نالا كل إنسان

تحمّلْ عن أبيك الثقل يوما … فإن الشيخ قد ضعفت قواه
أتى بك عن قضاء لم تُرده … وآثر أن تفوز بما حواه

حفظ الصحة

دارِ نفسك وإن بلغت سن الهرم كما يُدارى الوليد .

إفراط الشبع آفة على كل حيوان :

سنُّك خير لك من درة … زهراء تعشى أعين الناظرين[1]
عجبت للضارب فى غمرة … لم يطع الناهين والآمرين
يكسر باللؤلؤ من جهله … خُشْباً عتت عن أنمل الكاسرين

تجزأ ولا تجعل لحتفك علة … بإكثار طعم، إن ذلك لُوم[2]

لا ترْبَلنّ وكن رئبال مأسدة … إن الرشاد يناى البادن الرَّبلا[3]

الشيبة

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى … ولو نُص لى بين النجوم خباء

إن الشبيبة نار، إن أردت بها … أمراً فبادره، إن الدهر مطفئها

(١) زهراء : بيضاء صافية .
(٢) تجزأ بالشيء قنع واكتفى به ، اكتف بجزء من أكلك . وفى طبعة اللزوميات تجرأ بالراء ، ولا معنى لها .
(٣) الربالة : كثرة اللحم وهو ربل وربل .

السفر

لو ملكت الرحيل جولت فى الآفاق (م)
حتى يملنى التجويل

أدب السلوك[1]

الكتاب المختوم يشتمل على سر مكتوم ، فإن فضضته ولم يأذن من أمنك عليه فقد أوضعت[2] فى سبيل الخائنين

لا يحضر القوم فى مغناك غسل يد … على الطعام إلى أن يرفع السور[3]
ولا يكن ذاك إلا بعد كفهم … أكفهم، ويسير الفعل ميسور
فإن تقريب خدام الفتى حُرضا … والضيف يأكل رأى منه محسور[4]

لكل زمان ما يشاكله

أعدد لكل زمان ما يشاكله … إن البراقع يُستثبتن بالشُّمُم[5]
فإن ضربت بسيف الهندى ومدٍ … فسيف إفرنجة المخبوء للشم[6]

المرء شبه زمانه

وإن الفتى فيما أرى بزمانه … لأشبه منه شيمة بأبيه[7]

الناس

والناس بالناس من حَضْر وبادية … بعض لبعض ـ وإن لم يشعروا ـ خدم[8]

(١) قال عبد الله بن المبارك : إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته .
(٢) مشيت، فى حديث « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فانما ينظر فى النار .
(٣) سور يعنى عرس ووليمة « شفاء الغليل » . وفى « النهاية » فى حديث جابر أن رسول الله « ص » قال لأصحابه قوموا فقد صنع جابر سوراً أي طعاما يدعو الناس اليه ، واللفظة فارسية .
(٤) الحرض : الأشنان تغسل به الثياب والأيدى على أثر الطعام .
(٥) الشابان خيطان فى البرقع تشده المرأة بهما فى قفاها .
(٦) ومد : حر . المخبوء المعد المدخر . الشم : البرد .
(٧) فى أمالى القالى : هشام بن عروة : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وروى ابن هندو فى كتابه « الكلم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأفلاطون : لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم
(٨) الحضر — بسكون الضاد — أهل الحضر ، يقال : قوم حضر وقوم سفر (شرح ديوان زهير لثعلب .

إن خالفوك ولم يجور خلافهم
شرا فلا بأس؛ إن الناس أخياف [١]

قال الخليفة العظيم عمر :

« أعقل الناس أعذرهم للناس » .

وقال رشيد بن خليفة : « اشكر المحسن ومن لايسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص »

ومن عرف الناس وتأريخهم ووراثتهم القريبة والبعيدة (L'atavisme) ومنشأ ما يسمى (رذائل) وأسبابها عذر ولم يستعجب مما يشاهد . يقول الشيخ :

يلقاك بالماء النمير الفتى وفى ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه وشل حد السيف ما يعتقد

وهذان البيتان إن دل ظاهرهما على معايب فى الناس نفيها مابنيء بارتقاء لم عجيب ، فقد أمسى هذا الفتى الذئب الجشع الحاسد المحتقد سافك دم أخيه من أجل ثعلب ظفر به أو يربوع ، ومن أجل مستنقع يرده أو مطيطة [٢] — قد أمسى هذا الفتى وارث تلك الغرائز يلقاك أحسن لقاء ، ويخاطبك خطابا جميلا ، وفى الضمير والمعتقد ما أبان الشيخ . فإذا طال تكلفه مايتكلفه واستمر اعتياده مايعتاده « وعادة المرء تدعى طبعه الثانى [٣] » كما يقول شيخنا حاكى بعد أدهار باطنه ظاهره ، أشبه جوانيه برانيه ، وحسبك منه اليوم ذاك اللقاء وذاك العطاء ، وان كان فى ضمير النفس نار تقد ، وساء ما يعتقد .

... كذلك سخرناها لكم

قال الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) : « ... ولما انتهى أبو عيسى الوراق إلى حيث انتهت إليه أرباب المقالات طاش عقله ، ولم يتسع لحكمة إيلام الحيوان وذبحه صنف كتابا سماه (النوح على البهائم) فأقام عليها المآتم ، وناح وباح بالزندقة الصراح » ،

(١) من المجاز : هؤلاء أخياف أى مختلفون

(٢) المطيطة : الماء المختلط بالطين ، الذى يتمطط : أى يتمدد لخثورته (القائق) .

(٣) وفى أمثالهم : العادة طبيعة خامسة . العادة توءم الطبيعة .

وقال العلامة الفيومى فى (المصباح) : « ... ويحرمون — يعنى البراهمة — لحوم الحيوان ، ويستدلون بدليل عقلى فيقولون : حيوان برىء من الذنب والعدوان فإيلامه ظلم ، خارج عن الحكمة . وأجيب بظهور الحكمة ؛ وهو أنه استسخر للانسان تشريفا له عليه ، وإكراما له كما استسخر النبات للحيوان تشريفا للحيوان عليه . وأيضا فلو ترك حتى يموت حتف أنفه مع كثرة تناسله أدى إلى إمتلاء الأفنية والرحاب وغالب المواضع ، فيتغيرمنه الهواء ، ويكثر به الفناء ، فيجوز ذبحه تحصيلا للمصلحة ، وهى تقوية بدن الإنسان ، ودفعا لهذه المفسدة العظيمة . وإذا ظهرت الحكمة انتفى القول بالظلم والعبث » .

وشيخنا المعرى يقول داعيا إلى الارتفاق به :

يا كل أطايب الأعفاء ، من سمح بالرِّسل فى أيام السَّفاء [١] ، ويلج الغمار باذل السمار [٢] ، وتتقى الضيقان ، على الجائد بملء الجفان . لا يثنى عليك فصيل بالأصيل . ومن اخضرت شربته [٣] بالواد اكمات مربده بالتمر الجلاد [٤] . ومن ركب العامة [٥] فى طلب الصيد كانت بطون عياله قبوراً للحيتان . ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر فى منزله الوشيق [٦] .

وقال (الوليــــد) : النبع ليس بمثمر
وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع [٧]

(١) (الاعفاء) جمع عفو وهو الجحش . (السفاء) قلة اللبن ، يقال : ناقة سفى وهي ضد الصفى ، والمعنى أن من سقى فرسه اللبن فى أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها (أبو العلاء) . العفو : الجحش سمى به لأنه يعفى عن الركوب والاعمال (القائق) .

(٢) « الغمار » جمع غمرة وهى الشدة (السمار) اللبن المذيق ، والمعنى أن من سقى فرسه سماراً وتق بجريه فولج غمار الحرب (أبو العلاء) .

(٣) اخضرت شربته أى صار عليها طحلب من كثرة الماء وإدمان السقى (أبو العلاء) الشربة مثل الحويض يحفر حول النخلة والشجر ، يملأ ماء يسع ريها فتروي منه ، والجمع شرب وشربات (التاج) .

(٤) اكمات المربد أي صار فيه تمر يوصف بالكمتة ، والعرب تصف التمر بالكميت . والجلاد جمع جلدة ، وهى التمرة الشديدة التي لا توسف أى تقتشر (أبو العلاء) .

(٥) « العامة » ضرب من السفن (أبو العلاء) . وفى الأساس : وركبوا العام أى الأرمات الواحد عامة لأنها تعوم فى الماء ، وفيه : وركبوا الرمث فى البحر وهو الطوف : وهو من قرب منفوخ فيها .

(٦) « الوشيق » اللحم المقدد طولا ، والقطعة وشيقة (أبو العلاء) .

(٧) فى « شرح سقط الزند » :

« أراد الوليد بن عبيد البحترى وذلك أنه قال فى شعره : ...

جِلّة ابلك وعشارها [١] . أربوت ضيفك غزارها ، وملأت جفانك وذارها [٢] ، لن تبكيك بكارها إذا السنة كثر قطارها ، وذبح في الروضة فارها [٣] ، واعتّم بالروضة بهارها [٤] . سالم إبلك شرارها .

الأَثَرة L'égoïsme

إن تُرد أن تخص حراً من الناس (م) بخير فخص نفسك قبله [٥]

إذا لم يكن لى بالشقيقة منزل   فلاظهرت عزاؤها والشقائق [٦]

إذا كان إكرامى صـديق واجبا

فإكرام نفسى — لا محالة — أوجب

ومن أطال خلاجا في مودته   فهجره لك خير من تلافيه [٧]

إذا ولى صديقك فولّ عنه ، فإنما يُنزل بالوادى ذى الشجر والروض العميم [٨] ، ويقدح بزند العفار [٩] ما دام وارىَ النار ،

= وعيرتنى خلال العدم آونة   والنبع عريان، مافي عوده ثمر

يعني بالنبع الشجر الذى يعمل منه القسى ، قال البحترى : « إن النبع لا ثمر له » وقد أخطأ في قوله فان قطيع الوحش التى تصاد من الظباء والحمر والبقر الوحشية — من ثمار النبع ، وذلك أن القسى إنما تبرى من النبع ، ويرى إلى الوحش عنها ، وتصاد بها ، فالوحش إذن من ثمر النبع ... » .

و « عريان » مصروف ، وقد ترك البحترى صرفه ضرورة .

(١) الجلة : المسان — الكبار — من الابل يكون واحداً وجمعاً ويقع على الذكر والأنثى « المسان » . عشراء أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار، ومثله نفساء ونفاس ، ولا ثالث لها (المصباح) .

(٢) وذارها جمع وذرة وهي القطعة من اللحم (أبو العلاء) .

(٣) ذبح الفار للمسك وهو هاهنا استعارة للروض (أبو العلاء) .

(٤) اعتم النبت إذا طال وكثر (أبو العلاء) . (البهار) : نبت طيب الريح : العرار .

(٥) روى الميداني في (مجمع الأمثال) هذا المثل : من لم يحسن الى نفسه لم يحسن الى غيره .

(٦) (الشقيقة) على مثال فعيلة هو يوم (نقا الحسن) وفيه قتل بسطام بن قيس فهو يوم نقا الحسن ويوم الشقيقة . والشقيقة الفرجة بين الجبلين من جبال الرمل ينبت العشب (تعليق في نسخة مخطوطة من « اللزوميات » في دار الكتب المصرية عمرها الله !)

(العزاء) المطر الشديد الوابل (الشقائق) سحائب تبعجت بالأمطار المندفقة ، والشقائق هو هذا الزهر الأحمر المعروف .

(٧) (خلاجا) نزاعا ، جذابا .

(٨) كل ما اجتمع وكثر عميم والجمع عمم ، والعميم : الطويل من الرجال والنبات (اللسان) .

(٩) العفار شجر يتخذ منه الزناد ، المرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر (اللسان) وفي أمثالهم : « في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » وقد رواه الميداني وشرحه .

فإذا خبت ناره بطل اختياره . وإذا السقاء لم يمسك الماء فهو زيادة في مشقة المسافر . لا تأو لمفسد [١] تاو [٢] ، فإن الذيب جدير بالتعذيب .

آخ في الله الأخوان ، ولا تقل لبعيرك : إخّ في دار الهوان [٣] .

ادفع الشر إذا جاء بشر   وتواضع إنما أنت بشر [٤]

بأى لسان ذامنى متجاهل   علىّ ، وخفق الريح فيّ ثناء

تكلم بالقول المضلل حاسد   وكل كلام الحاسدين هراء

إذا ما قلت نثراً أو نظاما   تتبع سارقو الألفاظ لفظى

كأنى إذا طلت الزمان وأهله   رجعت وعندى للأنام طوائل [٥]

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

بإخفاء شمس ضوءها متكامل

وإنى وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

وطال اعترافى بالزمان وصرفه   فلست أبالى من تغول الغوائل

فلو بان عضدى ما تأسف منكبى

ولو مات زندى ما بكته الأنامل [٦]

وكم من طالب أمدى سياقى   دون مكانىَ السبع الشدادا

ويطمن في علاى وإن شسعى   ليأنف أن يكون له نجادا

ويظهر لى مودته مقالا   ويبغضنى ضميراً واعتقادا

لى الشرف الذى يطأ الثريا   مع الفضل الذى بهر العبادا

وأحسب أن قلبي لو عصانى   فعاود ما وجدت له افتقادا

تعاطوا مكانى وقد فتهم   فما أدركوا غير لمح البصر

وقد نبحونى وما هجتهم   كما ينبح الكلب ضوء القمر.

---

(١) أوى له : رق ورثى له ، وأشفق عليه ، يأوى مأوية ومأواة .

(٢) تاو : هالك   توي كرضي يتوى وطيء تقول توى كمي

(٣) إخ — يقال للبعير إذا زجر ليبرك ولا فعل له ، لا يقال أخخته بل أنخته .

(٤) من أمثالهم : الشر للشر خلق ، قد يدفع الشر بمثله إذا أعياك غيره وأرسطو — كما رووا — يقول : (دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة) والقول ما قال الشيخ ، ونطق المثل

(٥) (طلت) فقت (الطوائل) الترات . الذحول .

(٦) العضد بضم الضاد وسكونها وكسرها . وهو يذكر ويؤنث .

المذاهب الأدبية

للدكتور محمد مندور

في مصر الآن اتجاه عام نحو التفكير المذهبي ، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب . وهو اتجاه يبشر بالخير ، أو على الأصح بالرغبة في الخير . وذلك لأنني لم أستطع بعد أن أطمئن إلى اساس هذا الاتجاه . ومصدر عدم الاطمئنان هو أنني لا أكاد بعد أتبين وجود تفكير فلسفي يتشعب مذاهب مختلفة ، فتستند إليه مذاهبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية . ونقصد بالفلسفة وبالتفكير الفلسفي التفكير الإنساني الذي يتناول ملكات الفرد وآماله وآلامه وكافة روابطه بالحياة والمجتمع ؛ وأما ما وراء الطبيعة والجدليات والمنطقيات ، فذلك ما لن أمل تكرار القول في جدبه وعدم غنائه ، لأنها لا تعدو أن تكون رياضة عقلية .

لسنا نملك إذن حتى اليوم فلسفات إنسانية متميزة ، وهذا هو السر في أن تفكيرنا المذهبي في نواحي النشاط الفكرى المختلفة لا يزال تقليداً للغرب لا يقوم على أصالة نفسية حقة ، وأوضح ما تكون هذه الحقيقة في فهمنا لمعنى المذاهب الأدبية . فنحن نظنها طرقاً فنية يقصد إليها الكاتبون قصداً . فاذا بأحدهم كلاسيكي والآخر رومانتيكي ، وإذا بهذا واقعي وذاك مثالي ، عقلي أو عاطفي ، اجتماعي أو فني ، وما إلى ذلك من المذاهب والاتجاهات ، وهذا فهم خاطئ ؛ فمذاهب الأدب — كما يشهد التاريخ — قد كانت دائماً حالات نفسية عامة خلقتها الحوادث ، وكيفتها الظروف ، وإن لم يمنع ذلك الاتجاه العام من أن تتميز بداخله نفوس الشعراء والكتاب بسماتها الخاصة .

وفي تاريخ الأدب العربي ذاته أمثلة لتلك الحقيقة . فالشعر العاطفي ، وبخاصة الغزل ، كما ظهر في الحجاز في صدر العصر الأموي ، والشعر العقلي ، وبخاصة الهجاء ، كما ظهر في العراق في ذلك العصر أيضا ، والشعر الفني المصنوع ، وبخاصة المدح ، كما ظهر في الشام عندئذ ، حيث كان مقر الملك ، ثم تيار الشعر الإباحي ، شعر الخمر والغزل بالمذكر ، والتكالب على اللذات ، كما عرفه العصر العباسي الأول ، والشعر الفلسفي الذي بلغ قمته عند أبي العلاء ، كل هذه الاتجاهات كانت في حقيقة أمرها حالات نفسية . وما أحب أن أعيد القول في انصراف أهل الحجاز عن الكفاح في الحياة والمناضلة عن مجد الإسلام عند ما رأوا القيادة تنتقل إلى غيرهم ، وإذا بهؤلاء الأشراف الذين رقق الإسلام قلوبهم يتغزلون غزلهم الساحر الجميل . وكلنا يذكر روح العصبية القبلية التي لم يستطع الإسلام أن يميتها في العراق ، وما كان لتلك الحالة النفسية من تأثير في تأجيج الهجاء بين القبائل والأفراد ، وقد عمرت أشعارهم بملاحاة القيم والأنساب . وأما في العصر العباسي فتأثير الحضارة الفارسية بلذاتها وأنواع بذخها المختلفة ، أوضح من أن يذكر في خلق الحالة النفسية التي صدر عنها الشعر الإباحي . وفي فلسفة الهنود واليونان ، وفي ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في العصر العلائي وما سبقه بقليل ما يوضح اتجاه الشعر نحو الفلسفة بحثا عن حقائق النفس ومصيرها ، وآلام الحياة وآمالها . وهكذا جاءت نشأة المذاهب الأدبية عند العرب ، أو على الأصح ، الاتجاهات الأدبية في شعرهم وليدة لحالات نفسية طبيعية لم تصطنع ، ولا قصد إليها ، فهي تقوم على أسس نفسية إنسانية لم يكن منها مفر ، ولا إلى غيرها معدل . وإن لم يمنع ذلك — كما قلنا — كل شاعر من أن يتميز من غيره بأصالته الخاصة .

والأمر في الأدب الغربي مثله في الأدب العربي ، وإن تكن الحقائق هناك أوضح ، لأن الأدب الغربي هو الذي عرف — وبخاصة ابتداء من عصر النهضة — المذاهب الأدبية بمعناها الفلسفي الصحيح . وقد صاحب ظهورها وعي نظري بها ومناقشة لأصولها ، وتوضيح لمعالمها وقتال دونها : وتلك ظواهر لم تكد تتضح في تاريخ الأدب العربي ، اللهم إلا أن يكون ذلك في معركة كبيرة واحدة يحدثنا عنها التاريخ الأدبي ، وهي تلك التي قامت بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام ، إذ ناضل الأولون عن عمود الشعر والصياغة التقليدية المرسلة ، وكافح الآخرون عن مذهب البديع والتجديد في الصياغة . ومع ذلك فتلك معركة لم تمس حالات النفس في شيء ، لأن مدارها كان التباين في أسلوب التعبير . وأما موضوعاته فقد ظلت تقليدية حتى قال أحد النقاد : إن

التجديد عندئذ لم يعدُ التطريز على ثوب خلق ؛ وقال مستشرق : إنه كان رقصا في السلاسل .

وعلى العكس من ذلك مدلولات المذاهب الأدبية في الغرب ، فهنا نجد الحالات النفسية بأوسع معاني اللفظ . فالكلاسيكية التي ظهرت في القرن السابع عشر في فرنسا بنوع خاص ليست إلا نظاما عقلياً خاصاً في تناول حقائق النفس البشرية وصياغتها . وأساسها العام هو تنحية الكاتب لشخصه عما يكتب ، وتسليطه ضوء العقل على ما يريد عرضه . ولهذا كان مظهرها هو الشعر التمثيلي . وأما الشعر الغنائي الشخصي فذلك نوع لم يزدهر إلا في القرن التاسع عشر تحت جناح الرومانتيكية ، والكلاسيكية قسط واعتدال فلا إسراف في إحساس ولا مبالغة في عبارة ولا تصنع في أداء ولا شذوذ في أسلوب . وهي نتاج عقلي يخضع لأصول مرعية ويسير على مبادئ مقررة، وهي أصول ومبادئ قنّن لها النقاد فقالوا في المسرح بالوحدات الثلاث ونادوا بفصل الأنواع فلا تجاور الفصولَ المحزنة فصول مضحكة في المسرحية الواحدة ولا يختلط نوع بنوع .

وجاءت الثورة الفرنسية فشتتت أفراداً وفجرت آمالا ، وهاجر من هاجر وأقام من أقام وتجددت بفضلها مشاعر البشر . وأمعن الناس في مصائرهم . وولت الثورة نابليون الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، حتى أثار في نفوس الشبيبة أنواعا لا تحصى من الطموح وقد أصبح مثلهم المحتذى . ومنذ الأزل كان لشهوة المجد سحرها العجيب . وتنكر القضاء لنابليون فانهار مجده وتحطمت بانهياره النفوس ، فاذا بمرض اجتماعي ينتشر بين الناشئين هو المعروف « بمرض العصر » وما هو في الحقيقة إلا إحساس الفرد بعجزه عن الملاءمة بين قدرته وآماله ، وبين شخصه ومجتمعه ، وبين واقعه ومثله الأعلى ، وتلك حالة نفسية تنشأ دائما عند ما تجد أحداث أو تنهار شخصيات تدعو إلى أن يدب اليأس في الطموح . ولا أدل على صدق هذه الحقيقة من أن تجد الرومانتيكية التي ظهرت عندئذ ، عامرة بالشكوى من الحياة ، والإحساس إحساسا عميقا بجمال الأطلال ثم بصمت الطبيعة . ولكم يروعك عندئذ أن تستمع إلى شاتوبريان أحد أجداد الرومانتيكية الأوائل يفاضل بين الديانة اليونانية القديمة والديانة المسيحية ، ويؤثر الأخيرة لأنها قد طردت من الطبيعة ما ملأها به الإغريق من ربات وحوريات وآلهة ، لترد إليها ذلك الصمت الخالد الذي يستر فيه الإنسان على الله عند ما يعثر على نفسه . وهذه حالة تتطلع إليها النفس عندما تستشعر الحاجة إلى الاستجمام وترتد عن صخب الحياة وحركتها الدائمة وأهدافها المترامية مؤثرة التأمل الباطني على رقص الحوريات وأعياد الحياة . وعن هذه الحالة النفسية العامة صدرت الرومانتيكية التي تغلب عليها العاطفة والغناء الشخصي بالآلام والآمال غناء لا يخضع لقاعدة ولا يتقيد بأصل وهو أقرب إلى التشاؤم وشكوى الحياة منه إلى الرضى واطمئنان المصير .

وأفاقت النفوس من صدمتها . وتقدمت الأبحاث العلمية ونما الإنتاج المادي وأخذ المفكرون يكشفون عن الحقائق النفسية العميقة فاذا بالأدب يتجه نحو الإمعان في الواقع . ولما كان ذلك الواقع أمرّ مما يتخيل الشعراء وأميل إلى الدكنة فقد تولدت حالة نفسية جديدة هي الواقعية ، التي تسيء الظن بالبشر وترى خلف دوافعه البراقة ظلاما كثيفا . وعلى إضاءة هذا الظلام توفر جهدها، فالكرم قد يكون مباهاة خاوية ، والجد قد يخفي طموحا شخصيا بل والعبقرية ذاتها قد تختلط بالتهريج الرخيص ، على نحو ما تجد في الكثير من روايات بلزاك . ولم يكن هذا الاتجاه قاصراً على الأدب بل امتد إلى النحت والتصوير والموسيقى وغيرها من أنواع النشاط الروحي . لقد كانت الواقعية كما كانت الكلاسيكية والرومانتيكية حالة نفسية سائدة وتلك هي الحقيقة العامة التي أريد أن نتدبرها عند ما نأخذ في الحديث عن ظهور مذاهب أدبية بيننا ، فاذا لم نجد الحالة النفسية التي تستند إلى فلسفة إنسانية عميقة كنت في حل من أن تصف ما ترى بأنه لا يزال في دور المحاكاة .

محمد مندور

المسألة الأفعوانية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

هلمى يا ذات الخطر والجلالة ! إلى قلمى . . كما يقبل الثعبان العظيم زاحف الرأس إلى ساحر ليحطم نابه ويطهر لعابه !

هلمى يا بوق الشيطان ينفخ فيه على القلوب فتكون كالمخالى والخزائن والجيوب ، تختزن الأجسام ذات الحجم والكثافة والثقل .. وتمتلىء بالحطام وهى مهبط الأسرار ومجلى الأنوار ..!

هلمى يا دين البشرية الوثنية وقبلة قلبها ، وكعبة طوافها وسعيها .! هلمى يا أم الدينار ! ذى الغُرّة والطُرّة ، والبريق والرنين ، والثقل الخفيف والروح اللطيف الذى يسرى به الشيطان إلى الأقداس المغلقة فى الضمائر فيفتح به مكان الطهر ويحيله إلى نجس وعهر .!

هلمى يا روح العجل الذهبى الذى يتشكل ويتجسد ويتقمص جسم كل شىء فيتراءى به ويتخايل فى صور شتى تذهل العيون عن الحق والشرف والإيمان !

إلى قلمى أيتها الأفعى ذات الرءوس والقرون والألسنة والذيول التى لا عدد لها لأنها أم العدد والحساب !

هلمى أيتها « المسألة الإقتصادية » ! يا وكر الجرائم الفردية والإجتماعية والسياسية !

الرباطات الثلاثة

إننا نشعر برباطات ثلاثة تضغط على قلوبنا وتشد عليها وتربطنا بثلاث غايات عظمى هى : « الحياة وما وراء الحياة » و « المال » فالذى يربطنا « بالحياة » هو « الحب » ونتيجته الاندماج فى « الزواج » والامتداد فى « النسل » تعزية وتعويضاً عن « خلود الذات » وهى الأمل الأكبر الذى لم يتحقق ، والذى يربطنا بما وراء الحياة هو « الدين » ونتيجته التعرف إلى الله بارىء الوجود ومفيض الحياة ..

والذى يربطنا بالمجتمع هو « المال » إرضاء لجملة غرائز حادة وشهوات عنيفة تظهر فى الأنانية والأثرة والخيلاء وحب التسلط والمباهاة والافتراس وحب الاقتناء والحيازة والتملك وحب « إثبات الذات » مقرونة بغيرها فى مجموع .. والرباطان الأول والثانى لكل منهما منطقة تتصل بالجانب الأعلى من الإنسان وتثير فى قلبه أشواقا فيها سمو وفيها رفق ووداعة وحنان ونسيان « للذاتية » و « الأنانية » فلذلك تحيا بهما النفس سعيدة مسعدة ، منتفعة نافعة .

أما الرباط الثالث فلا يتصل إلا بمنطقة العواصف والزعازع من النفس ، إذ هى مجال الاحتكاك والمنافسة والسباق والصراع بين ذوات مختلفة متفاوتة القوى والمواهب .. وقد سبق الشر من هذه المنطقة إلى الحياة وأفسدها ، ولذلك كانت محل العناية والتنظيم والتهذيب ، ومحوراً عظيما لشرائع الأرض والسماء ، ومثار الحروب قديمها والحديث .

وبدون تسوية « المسألة الإقتصادية » .، فى العالم وحل « مشكلة العيش » وتوزيع الموارد الإقتصادية فى الأمة الواحدة وفى الأمم المتعددة فى عدالة وإنصاف وتجرد عن الأنانية الشخصية والقومية لا يمكن الإطمئنان إلى مستقبل سعيد للانسانية

وربما كانت كبرى جرائم الحياة هى جرائم الغنى ومفاسد البطر والترف والطغيان نتيجة لغرور المال . نعم إن للفقر جرائم كبرى أيضاً ، ولكنها جرائم ومفاسد هى فى الواقع عقوبة « ورد فعل » على جرائم الغنى وعدم التوازن الإقتصادى فى المجموع .

ولذلك كان من أول الواجب على رجال الروح والفكر أن يجعلوا المسألة الإقتصادية وتنظيمها واعتبار أسسها العادلة محل عنايتهم الفائقة كما يعنون بالمسائل النظرية فى اللاهوت والفلسفات والآداب ، وأن تكون لهم رقابة ساهرة وجهاد دائم فى التدبير والتنظيم الإقتصادى حتى يضمنوا لكل فرد أن ينال حق العيشة بالجسد كما ينال حق الحياة بالروح ، وحتى يكفلوا للمثل العليا أن تحيا وتتجسد فى أشخاص بدل أن تظل طول الحياة ميتة مدفونة فى بطون الكتب .

ثم يكون واجبهم الأكبر أن يمنعوا التكالب عليها والتطاغى فى رحابها وأن يحملوا المجتمع على السعى إليها فى هوادة ورفق وشرف

الحدود فى الاقتناء والتوريث

وإن ما تطلبه غرائز التملك وشهوة المال لا يمكن أن يقف عند حد ينتهى إليه . وعلى هذا فواجب أن يدرك الإنسان ذلك ويحد من آماله ومطامعه بما يوافق مصالحه ومصالح الآخرين وإلا انقلب كذلك الثعلب الذى ظل يأكل من فريسة حتى امتلأ وعجز عن النهوض والجرى فاقتنصه الصائد ..

ومع عدم شعور الجد والأب بحب الحفدة والأبناء له بل مع عدم وجودهم فى حياته ... نجد الأجداد والآباء ينالون فى الاقتناء والإثراء بدون حد للمطامع ، وبدون التفكير فى أن ما زاد على الكماليات فى متوسط عمر الإنسان إنما هو حمل باهظ للنفس يرهقها ويكأدها

فينبغى أن يحد الثرى ثروته بحيث تكفى ابنه المباشر وحده . أما الحفدة والأسباط فيجب إهمال التفكير فى توريثهم وعدم تضحية المجتمع والمروءة مع الناس من أجلهم وهم فى عالم الغيب..

الأسرة تتسع

ولماذا يلزم الإنسان أن يعول أهله الأدنين وذريته الضعاف ولا يلزم باعالة إخوته فى الوطن من العجزة المحتاجين وهم أسرته أيضا بالمعنى الواسع ؟ لا بد من إقامة مسائل الإقتصاد والإحسان على هذا المعنى العميق الكريم لا على التبرع والتفضل والإختيار ...

خطر العقليات المادية

لقد كثرت العقليات المادية الغالية التى تحاول أن تفسر الحياة دائما تفسيراً ماديا آليا .. مغفلة ذلك المعنى الإنسانى العظيم الذى يتصل بالحق ومعانى المروءة والإيثار والنبل، ولا يكون المرء انسانا إلا بسيطرة ذلك المعنى على فكره وروحه .. هذه العقلية أعظم نماذجها هم اليهود . وقد انتقلت فلسفتهم المادية فى غلوها إلى جميع الأمم . فهم ليسوا الآن ممثليها وحدهم ..

نعم إن للمادة آثاراً كبرى فى الحياة الإنسانية ، ولكنها يجب ألا تكون المحور الوحيد لسياستها العليا كما هى الحال الآن ...

عبد المنعم خلاف

في المحكمة الشرعية

صــــور جاهلية

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

رجل كهل معمم، له لحية وفي يده سبحة، دخل المحكمة ودخل وراءه مريدون له، ذوو عمائم، يتبعونه متخشعين ويلحظونه مكبرين، فوقف موقف المدعي عليه، وجلسوا من خلفه في مجالس المستمعين، وكان المدعي شيخاً همّاً ترعش يداه، وتضطرب رجلاه، ويزيغ بصره، ويتلعثم إذا تكلم لسانه ويفيض لعابه، وكانت دعواه أن هذا الكهل ابنه، وأن زوجته وهي أم المدعى عليه قد ماتت منذ شهرين، وهذا الولد قد وضع يده على تركتها كلها، فلا هو يعطيه حقه فيها لعل الرجل الشريف، ولا هو ينفق عليه انفاق الولد البار، فهو يعذب ... فسئل المدعى عليه ذو اللحية والسبحة: فقال: ان المدعي أبي ولكن له مالا فلا تجب عليّ نفقته، وأمي مطلقة منه فلا نصيب له في ارثها. فلما سمع الشيخ ذلك بكى بكاء محروق الفؤاد، واستنزل على ابنه غضب الله. اذ يعظ الناس ويأمرهم ببر الوالدين، ويسوق في ذلك الآيات والأخبار والرقائق، ثم يأبى الا أن يجمع على نفسه بين عقوق أبيه حيا، وأمه ميتة، ويضم الى ذلك كذبا وافتراء، ولا يرعى حق الأبوة، ولا يرأف بضعف الشيخوخة، ويصم أمه بوصمة الطلاق، وهي تشينها ان كانت حقا فكيف اذا كانت باطلا، وينسى الدين والمروءة، كل ذلك من أجل شيء من المال ماله به من حاجة، وما هو الى مثله فقير، ولكنه الطمع وحب الدنيا التي يزهد فيها، وقلة الأمانة التي يدعو اليها.

ونصحت المحكمة هذا (الواعظ ...) فما انتصح، وذكرته فما ادكر، ثم كانت النهاية أن خرج فائزاً بدنياه رابحا دعواه، يتبعه مريدوه وتلاميذه مكبرين موقرين، وخلف أباه الشيخ الراعش، يتلمس يداً تسنده ليخرج من المحكمة وفي عينيه الدموع وعلى لسانه اللعنات، وفي قلبه الحسرات ...

— ٢ —

امرأة محجبة مستورة، على صدرها ولد، وفي بطنها ولد، تدعي على رجل أنه زوجها وأبو أولادها وأنه طردها من داره، ولم ينفق عليها، ولم يكلها الى منفق، والرجل من هؤلاء (الزكرت) الذين يسمون في مصر (الفتوات) حليق الخدين، مفتول الشاربين، عابس باسر، طويل الطربوش أسوده مائله، منتصب القامة، مرفوع الهامة، كأنه مقبل على صراع. فسألته المحكمة عما يقوله فقال، وقد صعر خده، وشمخ بأنفه: لست أعرف هذه المرأة! ... قالت المرأة: لست تعرفني يا أبا فلان؟ أهذه هي مروءتك وشهامتك؟ تنكر زوجتك، وتجحد ولدك، وأنت ترى طفلي وحملي، وتبيع عرضك وشرفك بعشرين قرنكا في اليوم تريد أن توفرها على نفسك، فتهدم بيدك بيتك. وتكتب بقلمك صفحة عار أهلك، وفضيحة أولادك.

قال: اسكتي يا امرأة، انني لا أعرفك، فسألتها المحكمة: ألم يسجل هذا الزواج في دفاتر المحكمة وسجلات النفوس؟ قالت: لا ياسيدي؛ انه أبى أن يسجله، وتركه مكتوما لكي يضيعني. وانطلقت تنشج.

وأصر الرجل على الانكار، وأعيت المرأة الوسائل، وكادت المسكينة تغلب على حقها؛ واذا بطفل في الخامسة يلج قاعة المحكمة فيأخذ بيد أمه المدعية، ثم يرى الرجل، فيقبل عليه، ولكن الرجل يعرض عنه ويتجاهله، فيبكي ويصرخ: «ليش يا بابا، شو عملت لك يا بابا ...»

... ويعترف الخبيث ولولا ذلك ما اعترف!

— ٣ —

امرأة قروية برزة ذات جمال ادعت على زوجها الطلاق. فأنكر فكلفتها المحكمة بيان زمان الطلاق ومكانه — فقالت: إنه وقع في دار زوجي. قال المدعى عليه: في داري؟! قالت: لا، بل في دار الآخر. وتنبه القاضي والمستمعون، وسألها: ماذا قلت ويحك؟ قالت: زوجي الآخر. قال القاضي. وما الآخر؟ قالت: انه تركني وأهملني ورماني فتزوجت غيره. قال الرجل: لقد كذبت، لم أهملها ولكنها أحبته وهربت اليه. قال القاضي: وماذا صنعت أنت؟ قال: وماذا أصنع، أنه عسكري واني أخافه.

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية التجسس لقريش

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذه قضية لها قيمتها في أحداثنا الحاضرة ، ولو كنا نرجع في حاضرنا إلى ماضينا ، لكان لنا منه أكبر العظات ، وأعظم العبر ، ولكنا قطعنا صلتنا بماضينا ، وأخذنا نتخبط في حاضرنا ، وننظر فيه إلى من لا صلة بيننا وبينهم ، ولا يتفق أمرنا وأمرهم ، فتقطعت بيننا الأسباب ، واستفحل بيننا الخلاف ، ونكب المسلمون في زعمائهم وقادتهم ، وصاروا ينظرون إلى من يأخذ بيدهم فيرتد الطرف إليهم وهو حسير

في السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ، فتجهز النبي للسفر ، ولم يعلن أصحابه بما يريد من غزو قريش إلا أبا بكر رضي الله عنه ، ثم استنفر الأعراب الذين حول المدينة ، وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وقد طوى ما يريد عن الجيش ، لئلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب ، وهو لا يريد أن يقيم حربا بمكة ، بل يريد أن يباغت أهلها فيضطرهم إلى التسليم من غير حرب ، وقد دعا الله تعالى فقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . وفي رواية أخرى : اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا إلا فلتة . ثم أمر بالطرق فحبست ، وأقام جماعة بالأنقاب يراقبون من يمر بها ، وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الأنقاب فيقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة ، فإنه يتحفظ منه ويسأل عنه

وقد أمكن حاطب بن أبي بلتعة مع ذلك التكتم الشديد أن يعرف قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لخمي نزل مكة وحالف بني أسد بن عبد العزى ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا

قال : ومن عقد هذا العقد ؟ قال : شيخ البلد وهو هنا .

وأمر القاضي بشيخ البلد فدعي . فحضر شيخ لحيته الى سرته ، له هيبة وشيبة ووقار . فسأله — فقال : نعم أنا زوجت هذه المرأة بفلان العسكري . انها ذهبت اليه وساكنته فخفت عليهما المعصية ! ! فزوجته بها الزواج الشرعي على كتاب الله ، وسنة رسول الله !

قال القاضي وزوجها الأول ؟ قال : نصحناه أن يطلقها فأبى . فهو المسيء الى نفسه . وما أكرهنا بل زوجنا برضاها وموافقة أبيها . ولقد أنجبت منه أولاداً هم زينة البلد ، لا كأولادها من هذا الجاهل الذي لا يقيم الصلاة ...

قال أبوها وقد أحضر وسئل : نعم ، لقد رضيت بما رضي به شيخنا وعالمنا حفظه الله ، وأطال عمره ...

— ٤ —

فتاة (على الطراز الحديث ...) سافرة الوجه، غضة الأهاب ، قصيرة الجلباب ، تحاول كلما تحركت أن تبدي ماخفي من زينتها ومن فتنتها ، وقفت موقف المدعي . وكان المدعى عليه رجلا عليه سيما الصلاح ، وكان أباها ، فلما تكلمت تكلم معها حاجباها وشفتاها ، ورقص في صدرها نهداها ، فأمرها القاضي بالأدب . لما رأى من تبذلها واستهتارها ، وأن تلقي (منديلها) على وجهها ، وأن تجد وتوجز في كلامها ، وتسكن من جوارحها ، وأن تستشعر حرمة المكان ، وجلال المجلس ، وإلا حبسها بذنب (الإخلال باحترام المحكمة) . فأطاعت ما استطاعت

وكانت دعواها أنها ابنة المدعى عليه ، وأنها لا تنكر أن داره رحبة ، والمال فيها وفير ، والعيش هنيء ، وأنه ليس في الدار الا أبوها وأمها ، وأنها لا تشكو شيئاً من جوع أو عري ، ولكنها تشكو عدوان أبيها على حريتها ، فهو من (الطراز القديم) رجعي جامد ، لا يؤمن بالنهضة النسائية ... فهو لا يفتأ يسألها كلما خرجت ، لماذا خرجت ، وإن سهرت ليلة ، قال لها : أين كنت ، وإن سايرت شابا (مهذبا) أو زارته سبها وشتمها . فهي لم تعد تحتمل منه ذلك ، وتطلب فرض نفقة لها عليه لتعيش في غير داره ...

... ولا أريد ان أكمل الصورة فحسب القراء هذا الجانب منها ... وتأويله عند صاحبات (المؤتمر) !

دمشق — **علي الطنطاوي**

والحديبية ، وكان له بمكة بنون وإخوة ، فخاف عليهم من قريش فى ذلك الغزو ، وأراد أن يتقرب إليهم بإخبارهم بقصد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يتعرضوا إلى بنيه وإخوته بسوء ، فكتب إليهم كتابا يخبرهم بذلك ، ثم استأجر امرأة بدينار وقيل بعشرة دنانير، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق فان عليه حرسا

والروايات مختلفة فى نص هذا الكتاب ، فقيل إنه كان فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد

وقيل إنه كان فيه : أما بعد يا معشر قريش ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فو الله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم ، والسلام

وقيل إنه كان فيه : إن محمداً قد نفر ، فاما إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر

فأطلع الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم على مافعله حاطب ، فقال لعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فان لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها

فانطلق الثلاثة تمادى بهم خيلهم حتى أتوا روضة خاخ ، فاذا هم بالظعينة تسير على بعير لها ، فقالوا لها : أخرجى الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فأناخوها والتمسوا ذلك الكتاب فلم يجدوه ، فقالوا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا لها : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . وفى رواية أن علياً قال لها : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض فحلت قرونها فأخرجته من عقاصها ، وهو الخيط الذى تعقص به أطراف الذوائب ، أو الشعر المضفور ، أولىُّ الشعر بعضه على بعض على الرأس ، وإدخال أطرافه فى أصوله ، أو السير الذى يجمع به الشعر على الرأس وفى رواية البخارى . فلما رأت الجد أهوت إلى حُجْزتها وهى محتجزة بكساء، فأخرجته . والحجزة معقد الإزار ، والظاهر أن الكتاب كان فى ضفائرها ، وأنها جعلت الضفائر فى حجزتها .

فأخذوا الكتاب منها ورجعوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال له : ياحاطب ماحملك على ماصنعت . فقال : يارسول الله لاتعجل علىَّ ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ماضى حاطب وجهاده فى إعلاء شأن الإسلام ، وإلى موقفه فى غزوة بدر ، وما كان لها من عظيم الشأن فى إظهار الدين ، وفى قصة الحديبية ومبايعته فيها على الموت تحت شجرة الرضوان ، وقد قال الله تعالى فى شأن من بايعه تحتها فى الآية — ١٨ — من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كله من حسنات حاطب ، ثم نظر إلى تلك السيئة التى ارتكبها ، وهى تعد فى عرف الشرائع الوضعية الخيانة العظمى للدولة ، والعقوبة التى تستحقها هذه الخيانة هى عقوبة القتل ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن تنتهى حياة ذلك المجاهد بذلك الشكل القبيح ، ولم يشأ أن يضيع له جهاده الطويل فى الإسلام بفلتة من فلتات النفس ، وغواية من كيد الشيطان ، فرأى أن يستعمل فيها حقه فى العفو ، لأنه الرئيس الأعظم على المسلمين ، فله حق العفو عن مذنبهم إذا كان فيه مصلحة من المصالح ، ولكنه نظر قبل ذلك إلى من كان بالمجلس من أصحابه فقال لهم : إنه قد صدقكم ، ولا تقولوا له إلا خيراً . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل

بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لـكم . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

وقد عفا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا عن حاطب رضى الله عنه ، بعد أن بين به أن عقوبة الجاسوس القتل ، لأنه أرشد إلى أن علة تركه أمر عمر بقتله هى شهوده بدرا ، فدل على أن من فعل فعله ولم يـكن بدريا يستحق القتل ، ثم نزل بعدهذا فيا فعله حاطب قوله تعالى فى الآيات الأولى من سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) إلى آخر القصة .

وفى هذه الآيات معاتبات رقيقة لذلك المجاهد الكريم بعد ذلك الصفح الجميل ، وعظات كريمة أطلقت إطلاقا ، ولم توجه إليه بخصوصه ، حتى لايكون فى ذلك ما يشم منه رائحة تشنيع ، ولا يكون فيه تصريح بتلك الخيانة ، ولا يشوب جهاده منها شائبة تشوبه ، وعضى العفو عن ذنبه خالصاً يمحو كل أثر للذنب ، ولا يبق أية حفيظة عليه فى نفوس المجنى عليهم .

ولم يكن كل هذا إلا لأن حاطبا كان من المجاهدين الأولين فى الإسلام ، وللمجاهدين الأولين فى كل دعوة شأنهم فى نفوس من يأتى بعدهم ، فاذا روعى لهم جهادهم إلى آخر حياتهم ، وأحيطوا بجانب من القداسة يعلى شأن جهادهم ، وينسى معه بعض مايحصل من زلاتهم بحسن قصد ، ومن غير تنكر للدعوة التى جاهدوا فى سبيلها — إذا روعى لهم كل هذا كان مدعاة لأخذ الخلف بسنة السلف فى الجهاد ، حتى ينالوا مثل قداستهم فى نظر من يأتى بعدهم ، ودعا أيضا إلى تكوين القدوة الصالحة اللازمة فى تاريخ كل أمة من الأمم ، وهى الماضى المجيد الذى يقوم على أساسه بناء المستقبل ، وهذه هى الحكمة الجليلة فى ذلك

القول الذى ورد عن أهل بدر — اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى بعض الروايات فانى غافر لكم ، وهذا يدل على أن المراد بقوله غفرت فى الرواية الأولى أنه سيغفر لهم فى المستقبل مايقع منهم ، وقد عبر عنه بالماضى مبالغة فى تحققه ، ولو كان المراد منه الماضى حقيقة لما صح أن يخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه ، لأنه ينكر به عليه ماقاله فى أمر حاطب ، ولا يكون فيه إنكار عليه إلا إذا كان الغفران لما يكون من ذنوبهم بعد بدر ، على أنه لايراد من هذا إباحة فعل الذنوب لهم ، وإنما هو خطاب تكريم وتشريف ، ولا يراد منه إلا أنهم حصلت لهم بتلك الغزوة حالة من القداسة ، غفر معها ماسلف من ذنوبهم ، وتأهلوا لأن يغفر لهم مايحصل من الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم وقد خصهم الله تعالى بذلك تكريما لجهادهم ، وإعلانا عن عظيم حبه لهم ، وما أحسن ماقيل فى هذا الشأن :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وموضع العظة لنا من هذه القضية أنه كان لنا جهاد سابق جمع كلمة الأمة ، وأيقظها من رقدتها ، وسار بها فى طريق الإصلاح والنهوض ، فجنت من ثمار الجهاد ماجنت ، وقطعت شوطا بعيداً فى طريق الإصلاح ثم تنكرنا لذلك الجهاد ، وأخذنا نجرح الذين قاموا به ، ونرميهم بكل قبيح ، ونكيل لهم التهم جزافا وتنكر أولئك المجاهدون بعضهم لبعض ، فضعفت ثقة الأمة فيهم ، وضاعت القدوة الصالحة التى تكون محل الثقة والقداسة ، وعاد كل شخص إلى سيرته الأولى قبل ذلك الجهاد ، لا يهمه إلا أمر نفسه ، ولا يسعى إلا فى سبيل مصلحته .

فهل لنا أن نعود إلى ماضينا فنتعظ بموضع العظة منه ، وننظر إلى المجاهدين فينا كما كان ينظر سلفنا إلى المجاهدين فيهم ، ولا نتنكر لجهادهم كما نتنكر الآن ، فنحاسبهم على الهفوة بأشد مايكون من القسوة ، ونسلك فى حسابهم سبيل التشنيع والتشهير ، وهم لم يصلوا فى هفوتهم إلى تلك الخيانة العظمى التى ارتكبت فى تلك القضية .

وهل لأولئك المجاهدين أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى ، فيمد بعضهم يده إلى الآخر ، ويعرف له فضل جهاده الأول ، ذلك الجهاد الذى كان فينا مثل جهاد أهل بدر ؟

عبد المتعال الصعيدى



الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

تمهيد المترجم

فى شهر مارس من عام ١٩٢٥ أسعدنى الحظ بالوقوف بباريس مدينة الفن والجمال والنور لأيام قلائل جعلت همى خلالها ارتياد المتاحف والدور والمعارض التى تزخر بأشتات الفنون ، التالد منها والطريف . وكنت أنهب بعينى وقلبى تلك الروائع الفريدة ، وأحاول جهدى استيعابها واستذكار ما دق من محاسنها ومفاتنها ولكن هيهات !

وكان من بين ما راعنى وملك على لبى ومشاعرى أعمال المثال العظيم رودان[1]، ثم غادرت مهد الفن والجمال آسفاً ، ولم أنقع صدى نفسى الهيمانة من غير ذلك المنهل الصافى العذب . غادرته وبالحلق غصة ، وبالقلب لوعة ، إلى بلاد الثروة والمال والجاه — إلى أمريكا العظيمة . واستقر بى المقام بولاية كاليفورنيا ، قبالة مدينة سان فرنسسكو — عروس المحيط الهادى ، حيث انصرفت إلى الدرس والتحصيل — تحصيل العلم والفن . غير أن شواغل الدرس لم تكن لتصرفنى عن التحليق بروحى من آن لآخر فى سماء باريس وفى ردهات متاحف باريس لعلى ألم ببعض ما افتتنت به من روائع القدامى والمحدثين ، وبما أحببت من أعمال رودان . ولم ألبث طويلا حتى رأيت المال الأمريكى يستقدم نسخاً عديدة من أعمال هذا العبقرى العظيم ويحشدها بأحد متاحف مدينة سان فرنسسكو ؛ فكنت أخف لزيارتها من حين لآخر دارسا لها ، مستمتعا بها .

وفى ليلة الميلاد من عام ١٩٢٨ ، أهدى إلى كتاب عنوانه : « الفن » وضعه الكاتب الشهير بول جيزيل فى أسلوب محاورة جرت بينه وبين رودان ، يعرض الكاتب مسألة فنية فيندفع الفنان فى شرحها وتحليلها وإبداء رأيه فيها . وقد حاول الكاتب والفنان معا أن يجلوا كثيراً من نواحى الفن وأن يقربا فهمه إلى أذهان الكثيرين ممن لا يستطيعون فهمه على حقيقته ، وأن يثقفا به عقول الكثيرين ممن يعنون بقراءة الكتاب ويقدمون لهم غذاء روحيا شهيا لا تنفد لذته ، وعندى أنهما بلغا فى ذلك تمام القصد بفضل طلاوة الموضوع الذى يعالجونه من ناحية ، وبفضل الوضوح والنضوج اللذين امتاز بهما الفنان ، والبساطة والرشاقة اللتين خص بهما الكاتب من ناحية أخرى ، وإن كتابا يشترك فى إخراجه فنان عبقرى رقيق ، وكاتب بارع رشيق ، لخليق بأن يلقى من الإنسانية المتمدينة أكبر اهتمام ، وأن يخلد بما فيه على مر الأيام .

وكان من الطبيعى أن يخطر ببالى نقل هذا الكتاب الممتع إلى قراء العربية فأقدم إليهم بذلك نوعا طريفا من التأليف ، وثقافة فنية يحتاجها الفنان وغير الفنان على السواء . قمت بهذا العمل الشاق من زمن طويل ، ثم طرحته جانبا متردداً مرتقبا لظروف غير الظروف إلى أن وقعت عليه عين أستاذى وصديقى الزيات فأرادنى على نشر بعض فصوله فنزلت على إرادته .

مقدمة المؤلف

تقع على نهر السين ، قريبا من بلدة ميدون التى لا تبعد كثيراً عن باريس ، قرية ذات اسم جميل هو « ڤال فليرى » . تكلل هامة التل الصغير المشرف عليها بضعة أبنية تسترعى الأنظار بجمالها وغرابتها . وربما جال فى خاطر من رآها أنها ملك لفنان . وحقيقة الأمر أنها ملك « أوجست رودان » الذى اتخذها مقراً له . وإذا ما قاربها المرء وجدها مؤلفة من ثلاثة أبنية رئيسية منعزلة . أما الأول فنزل صغير ذو سقف عال مائل ، مبنى بالآجر والأحجار على طراز لويس الثالث عشر ، وقد اتخذه مسكنا له . وأما الثانى فبناء مستدير يقوم إلى جانب المنزل ، له رحبة فسيحة يدخل إليه بسقيفة ذات عمد هى نفس السقيفة التى أظلت معروضاته التى عرضها عام ١٩٠٠ فى معرض خاص أقيم بزاوية من « شارع بونت دى لالما » Pont de l'alma بباريس . وكان من دواعى سروره أن تقام هذه السقيفة مرة أخرى فى صدر هذا البناء الذى اتخذه مرسما . وقريبا من هذا وعلى حافة التل المنحدر يقع قصر

(١) أوجست رودان مثال فرنسى عبقرى معاصر . له فى النحت على المذهب الواقعى روائع أطارت صيته وخلدت ذكره . ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وتوفى بميدون سنة ١٩١٧ .

أو بالحرى واجهة قصر من قصور القرن الثامن عشر بها مدخل ظريف يعلوه إفريز مثلث الشكل يظهر بمثابة إطار لباب من الحديد اللين الزهر. وسيأتى ذكر هذا القصر فيما بعد.

تقع تلك المجموعة المتباينة الصفات. وسط بستان وادع بناحية هى ولا ريب من أجمل وأسحر النواحى التى بأرباض باريس، جادت عليها الطبيعة بكثير من جمالها، وزاد من جمالها ذلك المثال الذى نزل بها وسكنها، فنمقها بكل ما يمكن أن يوحى به ذوقه السليم.

وبينما كنت أسير مع أوجست رودان تحت الأشجار التى تظلل رابيته الفاتنة فى أصيل يوم من أيام مايو من السنة الماضية أفضيت إليه برغبتى فى الكتابة عن آرائه فى الفن وعلى أن يكون ذلك من إملائه فقال لى: «يا لك من إنسان عجيب. لا زلت مهتما بالفن إلى الآن! ان الاهتمام به لا يتفق والعصر الحاضر. فالفنانون اليوم، وأولئك الذين يحبون الفنانين أشبه شىء بالحفريات القديمة. تخيل ناشدتك الله مخلوقا من تلك المخلوقات البائدة يدب فى شوارع باريس، وعند ذلك يتبين لك الأثر الذى ستحدثه بمعاصرينا عندما تكتب عن الفن أو تتكلم فيه. ان عصرنا عصر مهندسين ورجال صناعة، وليس عصر فنانين. فغاية السعى فى حياتنا الحديثة هى المنفعة، وينصب جهدنا على تحسين بقائنا المادى. يطالعنا العلم كل يوم بمبتكرات جديدة خاصة بالمأكل والملبس ووسائل التنقل ويخرج إلينا بسلع رخيصة وضيعة كيما يوفر لجمهرة الناس ما يصبون إليه من كماليات زائفة. ولو أنه مع ذلك أدخل تحسينا عظيما على كل ما يتصل بحاجاتنا اليومية وعت إليها بصلة. ولكن لم تعد المسألة مسألة روح أو فكرة أو أحلام. لقد مات الفن.

الفن هو التأمل. هو لذة العقل الذى يبحث فى أغوار الطبيعة والذى يقدس فيها الروح التى تسود الطبيعة نفسها. هو متاع الذهن الذى يستشف الكون والذى يعيد خلقه بنظرة فاحصة صادقة. الفن هو أسمى رسالة للانسان لأنه يعبر عن الفكر الذى يبحث ليهتدى إلى تفهم العالم وليجعل العالم جليا مفهوما.

يعتقد الإنسان اليوم أنه يستطيع الحياة بدون فن. انه يأبى أن يتأمل أو يتيه فى مهامه الفكر أو يسبح فى عالم الخيال. يريد أن يستمتع استمتاعا ماديا، انه يقنع بإشباع شهواته الجسمانية، أما سمو الحقيقة وأغوارها فلا يعبأ بها أو يعيرها اهتماما. فإنسان اليوم حيوانى الميول لم يخلق من الطينة التى خلق منها الفنانون.

وفضلا عن ذلك فالفن هو الذوق. هو ما ينعكس من قلب الفنان على كل ما يبتدعه من الأشياء. هو ابتسامة الروح الإنسانية للمنزل والأثاث. وهو جمال الفكرة والشعور مجسما فى كل ما ينفع الإنسان. ولكن كم من معاصرينا يشعر بضرورة شيوع الذوق فى المنزل والأثاث، كان الفن منتشرا بكل مكان فى فرنسا فى أيامها الخوالى. فكان أوساط الناس، حتى الفلاحون منهم لا يستعملون من الأشياء إلا ما يفرح العين ويسرها. كانت مقاعدهم وموائدهم وقدورهم وقواريرهم جميلة. أما اليوم فقد اختفى الفن من الحياة اليومية، حتى ليقول بعض الناس ان الجمال لا يشترط توفره فيما هو مفيد من الأشياء... كل شىء قبيح خال من الرشاقة، تصنعه آلات غبية فى سرعة وعجلة. أما الفنان فينظر إليه كما لو كان خصما مناهضا. آه يا عزيزى جزيل، أتريد أن تبسط آراء الفنان وأن تبرز أفكاره؟ ماذا بك؟ دعنى أتفحصك! إنك وايم الحق لإنسان عجيب».

فقلت: «إنى لأعلم أن الفن هو أقل ما نعنى به فى عصرنا هذا، ولكنى آمل أن يكون هذا الكتاب بمثابة احتجاج على الآراء السائدة الآن، كما آمل أن يوقظ صوتك معاصرينا وأن يساعدهم على إدراك الجرم الذى يجرمون بفقدهم أجل شطر من تراثنا القومى ألا وهو الشغف الشديد بالفن والجمال». فأجاب رودان «عسى الله أن يسمع منك»

* * *

كنا نسير الهوينا بمحاذاة البناء المستدير الذى اتخذه مرسما. فشاهدت كثيراً من التماثيل القديمة الفاتنة فى حمى السقيفة. فهذا تمثال صغير لعذراء مقنعة بعض الشىء، تواجه خطيبا رزينا مشتملا بعباءته. وقريبا من هذين يوجد تمثال لكيوبيد[1] (Cupid) ممتطيا ظهر وحش من وحوش البحر، ويقوم وسط تلك التماثيل عمودان رشيقان كورنتيان[2] من الرخام الوردى اللون. ويدل احتشاد تلك القطع الثمينة فى ذلك المكان على ولع مضنيق بالفنين الإغريقى والرومانى:

(١) هو إله الحب عند الرومان.
(٢) نسبة إلى كورنث من بلاد الاغريق.

وثمت بجعتان(١) ناعستان على حافة بركة . فما إن مررنا بهما حتى مطتا رقبتيهما الطويلتين المقوستين وأرسلتا فحيحاً مغضبا . ولقد دفعتنى وحشيتهما إلى الجهر بأن هذا الطير ينقصه الذكاء . ولكن رودان أجابنى ضاحكا : « حسبه ما به من جمال الخطوط ، وفى ذلك الكفاية » .

وبينما كنا نمشى الهوينا بدت هنا وهناك محاريب صغيرة اسطوانية الشكل من الرخام حفرت بها أضافير الأزهار . ويوجد تحت عريشة بديعة يعلوها نبات متسلق نضير الخضرة وتمثال صغير لمثرا(٢) (mithra) بدون رأس وهو يتقرب بثور مقدس . ويوجد عند مفرق طريق معشوشب تمثال إيروس(٣) (Eros) نائما على فروة أسد ، وقد غلب النوم ذلك الذى يروض الوحوش ويغلبها على أمرها . وعند ذلك سألنى رودان قائلا : « ألا ترى أن الخضرة هى أنسب شيء توضع بينه التماثيل القديمة ؟ ألا تستطيع ان تقول عن أروس هذا الصغير الناعس بأنه إله الحديقة ؟ أن لحمه ذا الفينات لشبيه بتلك الأوراق الخضراء فى نضارتها وصفائها . لقد أحب فنانو الاغريق الطبيعة حبا جما حتى أن تماثيلهم لتزهو فيها كما تزهو فى عناصرها التى قدت منها» .

ولنبحث الآن هذه الفكرة : انا نضع التماثيل فى حديقة ، كيما نجمل بها تلك الحديقة . ولكن رودان يضعها بها كيما تكتسب تلك التماثيل جمالا منها . وعنده أن الطبيعة هى أبدا صاحبة الكلمة العليا والكمال الذى لا يحد .

وتقوم عند أصل شجرة من أشجار الاسفندان جرة اغريقية من فخار وردى اللون يغلب على الظن أنها كانت منطرحة بقاع البحر قرونا عدة وقد درست وتشبثت بمسامها بعض الطحالب وغيرها من عرماض البحار الجبلة ، فيخيل لمن يراها أنها أغفلت هناك عن قصد ، ومع ذلك فما كان يمكن أن تعرض لأعيننا بأجمل مما كانت عليه ، لأن ما كان طبيعيا هو غاية الذوق ومنتهاه .

ثم شاهدنا بعد ذلك بدنا لفينوس من غير ما رأس أو أوصال قد أخفى ثدياه بمنديل عقد وراء الظهر فيتبادر إلى ذهن الرائى أن أحداً من متكلفى الحياة يحدوه حياء مصنع — قد آلى على نفسه أن يستر تلك المفاتن .

ولكن من المحقق أن مضيفى لم يشاطر موليير (Moliere) رأيه فى هذا الحياء المصنع . لأنه أفصح لى عن سر ذلك قائلا « أنا الذى أخفيت ثدى هذا التمثال لأنه أقل جمالا من بقية أجزاء البدن» وعند ذلك أدار مزلاج باب أدخلنى منه إلى شرفة أقام عليها واجهة ذلك القصر الذى ذكرته منذ هنيهة والذى يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر . تبدو هذه القطعة النبيلة رائعة حقا إذا ما شوهدت عن كثب . انها مدخل على رأس سلم من ثمانى درجات ، حفرت على الافريز الذى يعلوه والذى يقوم على عمد تمثال تيميس (Themis) تحيط بها ملائكة الحب . وهناك قال مضيفى : «قديم قام هذا القصر الجميل على منحدر تل مجاور بأيساى (Issy) وكنت كلما مررت به أبديت إعجابى بجماله ، ولكن سرعان ما اشتراه السماسرة وقوضوا بناءه ..» وعند ذلك لاح بعينيه وميض الغضب وقال : « لا تستطيع أن تدرك مقدار الفزع الذى تملكنى عند ما شاهدت هذه الجريمة ترتكب . آه يا للفظاعة ! أيهدمو هذا البناء الجميل ؟ لقد أثر ذلك فى نفسى كثيراً كما لو كانوا يمثلو بجسم عذراء جميلة على مشهد منى » .

لفظ رودان هذه الكلمات بصوت ملؤه الخشوع العميق ولاريب أن فى ذلك ما يشعرك بأن جسم الفتاة الأبيض البض هـ أسمى وأروع المخلوقات فى نظره . بل هو أعجوبة الأعاجيب ! وصل حديثه قائلا : « سألت أولئك الأوغاد الأنذال أن لا يبددو الأنقاض وأن يبيعونيها فرضوا . ثم أمرت بالأحجار فأحضرت إ هنا وشددت بعضها إلى بعض على أحسن ما استطعت . ولسوء الح لم أرفع إلا حائطا واحداً إلى الآن كما ترى » .

ولتعجله وشدة تلهفه على الاستمتاع بذلك الأثر الفنى البد لم يتبع رودان الطريقة المثلى التى تقضى بأن تقوم حوائط البنـ جميعها فى وقت معا . وللآن لم يبن إلا جانبا واحداً من القصر وإذا ما قاربت بابه الحديدى ونظرت من خلاله رأيت أرضا مخطو مشقوقة بها قطع من الأحجار تدلك على تصميم البناء المنتظ حقا إنه قصر أحلام بل ومصر فنان ! ثم غمغم مضيفى قائل « حقا لقد كان بناؤونا القدماء رجالا عظماء لا سيما عندما نقار

(١) أوزنتا — معجم أسماء الحيوان اسكندر معلوف

(٢) هو إله الشمس عند الفرس .

(٣) هو إله الحب عند الاغريق بل هو أجمل الهم الذى لا يقاوم وعثل بغلام جميل له جناحان .

الحرب والعـــلم

للأستاذ محمود عماد

أصلِح المذياع نسمع ما يذاع   أفلا نَسمع حتى بالسماعْ
إن تلك الحربَ أودتْ بالمتاعْ   فى مناحى اللمسِ منا والبصرْ

ذَكروا الصُّلح فقلتُ استعجَلوا
أفــلم يبقَ لديهمْ مَــنزلُ
يُبتلى أو يبقَ حىٌّ يُقتل ؟   إنما الشر بخيرٍ والضررْ !

إنّ سِتًّا من سنين دامياتِ   لفناء الأرضِ ليست كافياتِ
لم تَزل فيها بقايا من نباتِ   وبقــايا حيوان وبشرْ

لم تَزل فى الأرض نيرانٌ مَواحقْ
فى البراكين استقرتْ والصواعقْ
وبأضلاعٍ وأكباد حوانقْ   مثل سقطِ الزندِ ترمى بالشررْ

إن يكنْ أعياهمو هَـرْسُ الفرائسْ
لحــديدٍ لم يُوفرْ للمهــارسْ
فلديهم بعدُ صلبانُ الكنائسْ   ومن الأجراسِ شىء مدخرْ

صار ماقد حرّموا للحرب حِلاًّ   لو أرادتْ ضربوا الليلَ فولى
أو رموا بالصبح عنه فتبلىٰ   ثم قدُّوا الشمس أوهدوا القمرْ

كيف ننسى أنهما جِدّ بِطانِ   من مدَارا الجَدْى تاق فى آتزانِ
فيُلَقّاها مدارُ السَّرطانِ   منْ تُرى يحملها طول السفرْ ؟

هو جِنّىٌّ له فى الجنّةِ اسمُ   واسمه العِلمُ فهلْ عندكَ عِلمُ ؟
أينَ منه قُمقمٌ صُلبٌ وخَتمْ   لِسليمانَ كما تَروى السيرْ ؟

لا يجيدُ العِلمُ أن يُحيِيَ ميتا   بينما يبدعُ فى الأحياء موتا
فهو مجنونٌ وإن خِلناه ثَبتا   وجنونُ العلم مرهوبُ الأثرْ

هو دجالٌ يرينا الضرَّ نفعا   وإذا أحسنَ وترا ساء شفعا
فاحذروا ياقوم من قدحاء يسعى   ها هو الدَّجالُ فى الدنيا ظهرْ

إن يقل انىَ سخَّرتُ الحديدا   أو يقل انى أدنيت البعيدا
أو يقل طرتُ وجاوزت الحدودا   فلويلٍ وثبور وخطــر !

يُتعبُ الجاهل قتلُ اثنينِ غدْراً   بينما العــالم يُفنِى الألف فوزاً
أى هذينِ إذن أكثرُ شراً ؟   لا تقولوا الشِّعرُ بالعِلم كفر

لستُ رجعيا إذا كنتُ أصيح   ارجعوا للغابِ فالغاب مريحْ
ان يكن فى الغاب زأر أو فحيح   يُنْجِنا منه قليلٌ من حَـذَر

ليس يؤذينا لدَى جارٍ شجارُ   بينما اليــومَ اذا لاحَ شرارُ
عند قطبٍ قالتْ الآخرَ نارُ   كم لقطب عند قطب من وطر !

بخلفائهم من بناتى اليوم الذين لا يستأهلون شيئا . » قال ذلك ثم قادنى إلى طرف من أطراف الشرفة حيث يظهر له جمال الوجهة بأجلى مظهر وصاح قائلا : « انظر كيف يعترض طيفه السماء الفضية بانسجام عظيم ، وكيف يشرف على الوادى الذى يمتد من تحتنا . » ثم ذهل برهة وانتظم بصرُه المشغوف أثناءها ذلك الأثر القديم وما يترامى حوله من المناظر .

وترامت أبصارنا من المرتفع الذى كنا عليه إلى آفاق بعيدة ، فهناك نهر السين تنعكس على صفحته البلورية سطور طويلة من ظلال أشجار الحور ، يتخذ شكل عروة عظيمة من الفضة عند ما يندفع إلى القنطرة عند سفر Sèvres وتلى ذلك منارة سانت كلو Saint Cloud البيضاء الصاعدة فى الجو أمام تل أخضر . وأما مرتفعات سورسن الزرقاء وجبل فاليريان mt. Valerian فكانت تبدو كأنها ذُرت بهباء من الأحلام . وإلى اليمين من ذلك ترى باريس — باريس الماثلة — تمد مهادها إلى الأفق البعيد وقد نضد بمنازل عديدة تبدو صغيرة على البعد حتى ليخيل للرائى أن فى استطاعته أن يستجمعها بكفه ، باريس التى تبدو لأول وهلة عظيمة سامية كأنها بوتقة هائلة تفور وتجيش بذلك المزيج العجيب من اللذات والآلام ، وبالقوى الزاخرة وبالمثل العليا الموموقة .

محمد بهجت

لا نعبُّ الجهل بل نشد أمنا | ان أتى العلم به بالعلم دِنَّا
واذا اعتدَّ سكين هتفنا | امنعوا الجزار عن وادي البقر

ما يحيي أنني ان زُمت أمرا | نلته فوراً اذا حركتُ زرّا
فبهذا الزر قد أُظهر صبراً | ليتَ من أخاصر يوما ما غدر !

انسا عن كل نفع في غناء | ان يكن من نوع نفع الكهرباء
فالذي يكمنُ فيها من بلاء | بعد هذا لجدير بالنظر

ان حرب العلم أوحت دون علم | أن حرب الجهل كانت شبه سلم
والذي اليوم رمى أول سهم | شرُّ سهم هو في قوس القدَر

عصّبوا الحرب وغطّوا مقلتيها | فغدت في الأرض ترعى جانبيها
ليت شعري ما الذي أبقت عليها | أيردُّ الجوع عنهم أن حضر ؟

انهم قالوا خشينا الموت جوعا | فشببنا الحرب كي نحيا جميعا
أفلم يلقوا بها موتا شنيعا ؟ | لم يشبوا لجوع بل بَطَر !

بل همو جاعوا بها لم يشبعوا | والذي قد أشبعوه المدفع
ونسورٌ في الصحارى جوّع. | تحمدُ الضيف قراهم وشكرْ

اسألوا (الفُهرر) كمْ (دنزيجَ) أوتي
واسألوا (الدُّتشي) أتاه كمْ (جِبوتي)
كم (بروما) من كراس وبيوت | دكّها (كرسي القناة) المنتظرْ ؟

أين يا (دتشي) حصان أبيض | فوقه جئت (لمصر) تركض
ما له من بعد جهد يرفض | عبر (مصر) وبك البحر عبر ؟

رمت تبني ما بني (اسكندر) | فتولى ما بناه (قيصر)
ما الملايين التي تستنفر ؟ | ألملايين الثمانون صور

ست : ان قلتُ لجيشي هات (مصرا)
نال (مصرا) ثم نال (الهند) قهرا
ألهذا فات (روما) ثم فرّا | و(طرابلس) و(تانا) و(هرر) ؟

كم تلى دبابة قد قمت تهزي | وتهزُّ السلم فينا أيّ هزّ
فاحطم اليوم على دودة قزّ | وارقب الهزّ بأوراق شجر !

اهبط القيعان من سد الرواني
واصحب (الفُهرر) يا خير الصّحاب
واحطبا الناس بسلم مستطاب | بعد حرب ، من القاع الدرر !

اخطبا اليوم بآيات كريمه | واذكرا الرحمة من بعد الهزيمه
أين كانت هذه النفس الرحيمة | عندما شارفتما (بحر الخزر) ؟

يا شرار الأرض ليس العيش شرا
انَّ خيراً أن يكون العيش خيرا
ليست الدنيا لكم الا ممراً | كيف يرجى في ممر مستقر ؟

ان نور الشمس حقٌّ للجميع | فيم اختصّ فريقٌ بالشموع
ليتهم يقضون فيه بالشيوع | عندما يجمعونه في (المؤتمر)

محمود عمار

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

سكر وكحول من النشارة

كم من نشارة الخشب والمواد النباتية نلقى كل يوم ؟ إننا نحاول استغلالها فى إشعال الأفران . فهل نحصل على أكل فائدة منها ؟

تتخلص كل يوم من أطنان من المواد النباتية . وينظر الكيماوى إلى هذه المواد أسفا لأنه لم يتوصل إلى طريقة يستطيع بها إعادة ترتيب عناصرها الأولية فيخرج منها مواد ضرورية للحياة . فهو يعرف أنها تتكون من كربون وإيدروجين وإكسوجين . وبعضها العناصر الأساسية فى السكر والكحول والبترول .

والعقبة الكبرى هى إعادة هذا التكوين بطريقة تجارية تقلل نفقات صنعها حتى تصلح للاستهلاك العادى . وقد تمكن ١٢ عالما أمريكيا فى صيف السنة الماضية من تذليل هذه الصعوبة فحولوا نشارة الخشب إلى كحول وسكر . فمن ٥٠٠ رطل من النشارة العادية حصلوا على ٢٥٠ رطلا من السكر فى ٨ ساعات وحولته الأخيرة بدورها إلى ١٢ جالونا ونصفا من الكحول فى ٢٤ ساعة

ومعنى هذا أن الطن من النشارة يتحول إلى نصف طن من السكر أو ٥٠ جالونا من أثيل الكحول . وهو غير المادة الكحولية المعروفة باسم ميثل وهى سامة وتستخرج من الخشب أيضا .

ومن المعروف أن استخراج الكحول من الخشب عملية قديمة . على أن النجاح الذى أحرزه العلماء أخيراً كان استخراجه بنفقات زهيدة ، فلم يتجاوز إنتاج الجالون ٥٠ مليما ، وفى زمن قصير ، إذ تيسر إنتاجه فى ثلث المدة السابقة

وكان هذا الكشف العلمى عاملا قويا ساعد على سد الحاجات العسكرية والمدنية فى الولايات المتحدة التى قدر استهلاكها فى السنة بـ ٦٤٠ مليون جالون ينفذ منها فى صناعة المطاط الصناعى ٣٣٠ مليونا ويوزع الباقى على صناعات المفرقعات والنسج وغيرها ، ولا تنتج هذه البلاد فى الواقع إلا ٥٩٠ مليونا فأتاح لها هذا الاكتشاف تعويض النقص

وتقدر نشارة الخشب التى تتخلص منها المصانع بالحريق بـ ٣٠ مليون طن يكفى أقل من نصفها لإنتاج كل حاجة الولايات المتحدة العسكرية والمدنية

ووضع الفنيون تصميمات مصانع إنتاج الكحول من نشارة الخشب فقدرت نفقات واحد منها ينتج ١٥٠ مليون جالون فى السنة بمبلغ ١٨ مليون جنيه . وقدروا إنه باستهلاك مخلفات النشارة كوقود يخفضون تكاليف الإنتاج بنسبة ٣٠ الى ٢٥ ٪

فترة النقه وأسبابها

من أعقد المسائل التى تواجهها الطبيب ومريضه فترة النقاهة من جميع أسباب العلة تزول ، ومع ذلك يظل المريض فترة قد تصل الى أسابيع يشعر أثناءها بارتخاء فى أعصابه وعدم قابلية للعمل أو الحركة . فلماذا ينتاب الإنسان هذا الإحساس ؟

لم يستطع أحد حتى الآن تفسير هذه الظاهرة وان كانت تعلل بأسباب مختلفة لم يقتنع بها الطب . ولهذا عكف بعض الأطباء على دراسة هذه الظاهرة دراسة عمية حتى يوفروا على المرضى كثيراً من سأم دور النقه

ويشرح الدكتور ريتشاردز الحالة بانه عندما يصاب الإنسان بجرح أو مرض فان الضرر لا يؤثر فى العضو المصاب وحده بل يشمل كل أعضاء الجسم ، فيقل تركيز الدم ، ويتأثر الجهاز العصبى ، وتختل نظم التغذية لمدة طويلة لا يعتبر فيها المريض معافى الا ان عادت الى حالتها الطبيعية .

ويبحث الأطباء الآن فى العلاقة بين هذه الظواهر ليتوصلوا الى تقرير ما يجب عمله فى أدوار النقه المرضى

القهوة وقرح المعدة

أعلن ثلاثة من الاطباء فى اجتماع الجمعية الطبية الاميركية أنه من الميسور معرفة الاشخاص المرضين للاصابة بقرح المعدة بواسطة شرب القهوة . فقد وجدوا أن شراب القهوة يؤثر تأثيراً

ضاراً على شخص من كل عشرة أشخاص من المصابين بالقرح أو المرضين للاصابة بها .

فإن المعدة تتأثر بشراب القهوة وتفرز حامضاً قوياً غنياً بالببسين، وهذا التأثير سريع الزوال فى الأشخاص العاديين بينما يطول أمده فى الأشخاص المصابين بقرح المعدة أو المرضين للاصابة بها ، ومن ثم يستطيع الطبيب أن يدرك استعداد الإنسان للاصابة بهذا المرض . وجرب مفعول مخدر القهوة على مجموعة من القطط بحقنه فى عضلاتها فأصيب منها ٤٠ إلى ٥٠ فى المائة بقرح المعدة .

ويعتبر الأطباء من يتناول أربع أو خمس فناجين قهوة فى اليوم من المدمنين . ومن السهل تخفيف أضرارها بإضافة السكر أو الكريمة إليها ، أو بتناولها مع الطعام فان هذه المواد تخفف حدة تأثيرها إلى ٦٠ فى المائة . فاذا اعتبرنا تأثير القهوة التركية السوداء ١٠٠٪ فان تأثيرالقهوة الفرنساوى يكون ٩٠٪ والشاى ٦٠٪

ويقول أحد الأطباء إن فى القهوة عاملين يؤثران على الإنسان: أحدهما يؤثر على المخ والجهاز العصبي وهو الذى يؤدى إلى حالة الصحو، والآخر يؤثر على خلايا المعدة مباشرة وهو الذى يؤدى إلى حالة قرح المعدة أو يبين استعداد الإنسان للاصابة بها .

أنف بدل المفقود

تقدمت جراحة التجميل خلال هذه الحرب خطوات واسعة فتيسر بها إعادة كثير من الوجوه إلى حالتها الطبيعية . والفضل الأكبر فى هذا التقدم يرجع إلى اكتشاف الأطباء لكثير من المعلومات الهامة عن المخدرات وفن « التبنيج » مما أتاح لهم حرية العمل فى عملية واحدة لمدة أربع سنوات متواصلة مما كان يبدو مستحيلا منذ ٢٥ سنة .

ويتعرض الإنسان فى هذه العمليات إلى عدة مضاعفات مثل فقد الدم وتسمم الجروح وتيسر تعويض دم المصاب بنقله إليه من الخارج ، كما منع اكتشاف البنسلين حوادث التسمم .

وليس معنى هذا أن الطب يستطيع تعديل تقاطيع الوجه كما يعدل المثال فى قطعة من طين ، فلم يوفق جراحو التجميل إلى تركيب أنف أو فك أحسن من الأنف أو الفك الأصليين ، حقيقة إن وفرة المصابين فى القتال أتاحت لهم إجراء عدة عمليات لم تكن معقولة فأعادوا لبعض الجنود أنوفا غير التى نقدوها فى الميدان ولكنها لم تكن فى اتقان الطبيعية

وتستطيع جراحة التجميل بما تستعمل من حيل إعادة الجلد المحروق والمتسلخ إلى طبيعته ، فإن كان كثيراً فانها لا تضمن أن تترك فيه أثر المشرط لعدة أسباب ، منها أن شرائح الجلد المأخوذة من أجزاء أخرى من الجسم تختلف فى لونها وسمكها وبنائها عن جلد بشرة الوجه ، فان كان الحرق أو التسلخ عميقاً حتى يتلف أنسجة الأعصاب فمن الصعب إصلاحه

واستطاع أحد العلماء ابتكار آلة دقيقة تقطع شرائح اللحم بأى سمك يطلب منها حتى تتفق مع المكان الذى ستوضع فيه فلا تكون سميكة ولا رفيعة

مواد التلوين والصناعة

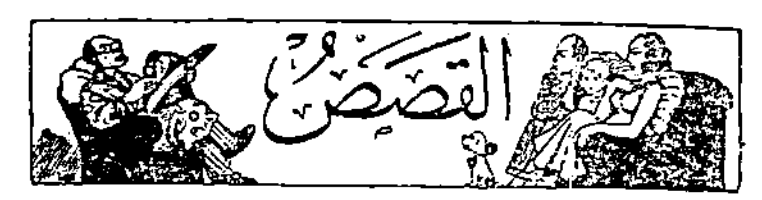
المواد الكيماوية المستعملة فى تلوين الأحذية والكتب من المسائل الهامة الآن لحفظها أطول مدة ممكنة ، فكلما احتفظ الجلد بكمية وافرة من الحوامض كلما عاش مدة أطول ، ولكن العكس مطلوب فى صناعة ورق الكتب الثمينة ، إذ يجب أن يحتوى على كية من القلويات فان الحوامض المبيضة تتلف الورق .

وتتناول الأبحاث الأخيرة فى التلوين عدة صناعات وزراعات من الألبان المحفوظة إلى الزهور. فقد وجد أحد الكيميائيين أن الورد الأحمر وزهر القمح الأزرق يتلون فى الطبيعة بنفس المواد . ومع ذلك فلوناهما مختلفان . ويرجع ذلك إلى أن خلايا الورد تغلب عليها المركبات الحمضية ، بينما خلايا زهور القمح تغلب عليها المركبات القلوية . وبتفاعل المادة الملونة مع أحماض الوردة ينتج اللون الأحمر. أما تفاعل نفس المادة مع قلويات الزهرة فينتج اللون الأزرق .

واستنبطت من هذه النظرية عدة قواعد هامة فى تلوين المنسوجات ، ومنع مواسير المياه من الصدأ ، وفى صناعة حفظ الأغذية فى الأوعية المعدنية .

ونال البسكويت نصيبه من الأبحاث الجديدة ، فوجد أن لونه يسمر إن كانت القلويات كثيرة فى الدقيق ، ويبيض ويصير هشا إن زادت كية الاحماض فى العجينة

فوزى الشتوى



المجنـــونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب إبراهيم عبد الرحمن خليل

كان السيد ماتيودانـدولان والسيد روبرت دي بونير يتجاذبان الأحاديث عند ما وجه داندولان نظر صديقه الى طيور برية قائلا : تذكرني هذه الطيور ياصديق بحادث مؤلم من حوادث الحرب ... أنت تعرف أملاكي في ضاحية « كورمي » التي أقيم فيها منذ احتلها البروسيون ، وكانت جارتي « جادي » قد اعتراها نوع من الجنون بسبب حوادث مفجعة تتابعت عليها فأثرت فيها تأثيراً عنيفاً ، فقد فقدت المسكينة في شهر واحد أباها وزوجها وابنها الصغير ، وكان حديث الولادة ، وهكذا عند ما يزور الموت منزلا أول مرة ، يعود اليه ثانية كأنه يعرف الطريق ... صرعها الحزن فلزمت الشابة البائسة فراشها وهي تهذي ستة أسابيع كاملة وتوالت عليها أزمات حادة ظلت بعدها خامدة عديمة الحركة ، لا تكاد تتناول شيئاً من الطعام إلا بالجهد الشديد ، لا يتحرك فيها إلا عيناها ، وفي كل مرة حاولوا تغيير موضعها كانت تصرخ بشدة كأنما يراد قتلها ، فتركت نائمة كما شاءت وتوفرت على خدمتها سيدة عجوز طيبة القلب كانت تقدم لها الماء من وقت الى آخر مع قطعة من اللحم البارد تلوكها بين أسنانها ... ما الذي كان يدور بخلدها المشتت ؟ أكانت تحلم بالذين ماتوا ؟ لم يعرف ذلك أبداً ، لأنها لم تتكلم أبداً ، ولأن فكرها المضمحل ، ظل عديم الحركة كالماء الراكد .

ومرت خمسة عشر عاما وهي على تلك الحال ؛ مغلقة النفس ، خامدة الحركة ... جاءت الحرب ، وفي الأيام الأولى من ديسمبر ، تغلغل البروسيون في كورمي .

وكان الجو باردا والثلج يتساقط ، إني أذكر هذا اليوم كأنه الأمس القريب ، وكنت ممدداً على كرسي مستطيل بجوار نافذتي مريضاً بداء المفاصل ، أسمع وقع أقدامهم الثقيلة وخطواتهم الرتيبة ، وأراهم من النافذة صفوفا لا نهاية لها يبدون في حركاتهم المنتظمة كأنهم دمى تتحرك بخيوط مشدودة ، وقد أمر القائد بتوزيع الرجال على سكان القرية فكان نصيبي منهم سبعة عشر رجلا ونصيب جارتي البائسة اثنا عشر رجلا ، بينهم القائد وهو رجل عسكري قديم ، حاد الطبع ، غليظ الخلق . قيل له أثناء إقامته بالمنزل إن ربة الدار سيدة مريضة لم تفارق فراشها منذ خمسة عشر عاما متأثرة بحزن شديد أصابها ولكنه لم يقتنع بهذا ، من غير شك ، فقد توهم أن الذي منعها من استقبالهم إنما هو كبرياؤها واشمئزازها أن ترى البروسيين أو تحادثهم ، فطلب مقابلتها وأدخل إلى غرفتها ، فما إن رآها حتى خاطبها بصوت جاف خشن وبلهجة ركيكة فيها كثير من التحريف ... أرجوك ياسيدتي أن تنهضي من فراشك وأن تنزلي لكي يراك الجميع .... ولكن المرأة المسكينة أدارت نحوه عيونا مبهمة فارغة ولم تجب . فاعاد بلهجته الغريبة مرة ثانية .. إذا لم تنهضي بارادتك فسنجد وسيلة لأرغامك على نزهة فريدة .. ولكن المسكينة لم تأت بأي إشارة ، كانت دائماً عديمة الحركة كأنها لا تراه ، فتملكه الغضب ، وظن أن السكوت منها علامة احتقار بالغ له ، فأضاف مهدداً — إذا لم تنزلي ياسيدتي غدا ... ثم أدار وجهه وانصرف .

وفي اليوم التالي ، أرادت خادمتها العجوز الطيبة أن تلبسها ملابسها قبل أن يحضر الضابط ولكن المجنونة صرخت بأعلى صوتها في هياج شديد ، ولم تجد أي محاولة معها . وفي هذه اللحظة صعد الضابط مسرعاً ليرى تنفيذ أوامره ، فخرت الخادم على أقدامه مستعطفة صارخة ، إنها لا تريد ياسيدي ، انها لا تريد ، اصفح عنها ، انها بائسة تعسة .

ظل الجندي القديم ، مشبكا ذراعيه كاظما غيظه ، وفجأة انطلقت منه ضحكة عالية ، وأعطى بالألمانية أمراً إلى رجاله ، ورأى الرجال يحملون المريضة بفراشها كما يحملون جريحاً في الميدان ، وفي المؤخرة رجل يحمل حزمة ملابس نسائية .

المجنونة ساكنة هادئة لا تقاوم ، ولا تبالي بالعواقب ،



في عالم الكتب

محمـــــد عبده

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

« محمد عبده » يدخل في سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحا . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل بإخراجه في أول السلسلة ، كما أحسن الدكتور عثمان أمين في اختيار الشخصية التي يقدمها من أعلام الاسلام .

ومن أولى المسلمين بأن يترجم له في الأعلام مثل الأستاذ الإمام ؟ لقد عبنا على اللجنة إقرارها ترجمة « بشار » و« أبي نواس » ولكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه في رسالته التي ظفر بها بأجازة « الدكتوراه » . ولا يزال الشيخ شغلا لصديقنا المؤلف في الصحف تارة وفي الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الامام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التي قدمها إلى الجامعة ؛ ولعله أوجز فيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبده

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلا تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه في هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

وليس كتاب « محمد عبده » عملا أدبياً يضع صاحبه في

كأنها نائمة نومتها الهادئة في منزلها العتيق . فرك الضابط يديه سروراً قائلا : سترى جيداً اذا كنت تستطيعين أن تلبسي وحدك ، وأن تقوى بنزهة صغيرة . . الموكب يسير مبتعداً متجهاً الى غابة ايموق . . . وقد مضت ساعتان عاد الجند بعدهما منفردين . . .

ولم تعد المجنونة ثانية ... ماذا صنعوا بها ؟ والى أي مكان حملوها ؟ لم يعرف أحد ذلك مطلقاً . الثلج يتساقط ليلا ونهاراً ، وبدا الوادي في نعومة المخمل ، أما الغابة فقد كفنها الجليد بثوب من الزبد الثلج ، والذئاب تعوي حتى أبواب المنازل . وذكرى هذه المرأة المفقودة لا يفارقني .

تمت بجولات متعددة قريباً من مناطق البروسيين مؤملا الحصول على معلومات عنها ولكني لم أفز بطائل ، فظننت أنهم ربما قتلوها رمياً بالرصاص .

عاد الربيع ، وابتعد الجيش عن القرية ومنزل جارتي المسكينة ظل مغلقاً تنبت الحشائش في أبهائه ، والخادم العجوز في أثناء الشتاء ، ولم يبد أحد يشغل نفسه بهذه الحادثة ، ولكني — أنا نفسي كنت أحلم بها بلا انقطاع .

ما ذا صنعت هذه المرأة ؟ أهربت مخترقة الغابة ؟ أم عثر عليها بعض المارة فأدخلها مستشفى قبل أن يستطيعوا الحصول على معلومات عنها ؟

لم أجد ما يخفف حدة الشك في نفسي ، ولكن الزمن خفف هذا الألم شيئاً فشيئاً . وجاء الخريف ، وتتابعت أسراب الطيور البرية ، واسترحت من مرضي قليلا فاندفعت نحو الغابة للصيد ، وأصبت خمساً أو ستاً من ذوات المنقار الطويل ، وكنت أبحث عن واحدة وقعت في حفرة صغيرة وسط فروع الأشجار ، واضطررت إلى النزول في الحفرة لالتقاطها ، ولكني سقطت على رأس ميتة ، وفي الحال ترددت في صدري ذكرى المرأة المجنونة كأنها لكمة قوية ، لقد كنت متأكداً أني سأقابل هذه البائسة يوماً ما ، وفجأة فهمت ، وفرضت كل شيء ، لقد حملها البروسيون إلى هذه الغابة الباردة وأهملوها ، وتركت المسكينة نفسها الخاوية تموت تحت وطأة البرد ، وزغب الثلج الساقط ، لا تحرك يداً ولا رجلا ، ثم جاءت الذئاب الجائعة فافترستها ، والطيور بنت أعشاشها من صوف فراشها الممزق .

حفظت هذا الحطام الحزين ، وأقمت له النذور ودعوت الله ألا يرى أولادي الحرب أبداً .

إبراهيم عبد الرحمن خليل

مرتبة الأدباء . وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناه . ولكنه عمل عالم مشتغل بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الاسلامية فكان علماً من أعلامها .

ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته فى كتابه؛ ووجه الخطأ فى قولهم إن « عثمان أمين » استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريده المؤلف أن يكون . فهو يعرض الحوادث ويسوقها فى تسلسل وحسن ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب . وهذا قصارى المؤلف فى تاريخ الرجال . وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له فلا يعنينا بعد ذلك أن نبحث عن « مفاتيح الشخصية » التى يتحدث عنها بعض النقاد فى هذه الأيام ؟

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع « المفاتيح » ويتكلف البحث عنها ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التى يتحدث عنها سهلة التناول واضحة للقارىء لا يجد فيها عناء ولا نصباً ؟؟

الحق أن فكرة « مفاتيح الشخصية » هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب. وإلا فقد قرأنا « محمد عبده » لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى « مفتاح » . وكان المؤلف أفطن من أن يعنينا « بالمفاتيح » التى يقولون عنها فى هذه الأيام !!

ولقد قرأت فى الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lévy وهو من الكتب التى قرظها « François Coppée » فلم أجد فيه « مفاتيح » بل وجدت الكتاب كله مفتوحاً أمامى.. وقرأت فى العربية كتاب « روزفلت » لفؤاد صروف وكتبت عنه فى الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت « محمد عبده »

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالا لأحمد بك أمين ولفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها — « ص ٢٢ » وذكر كلاما لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاما ولم يذكر مصدره — صفحة ١٠٥

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسرداً بأسماء مراجعه

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر المناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثـــل « ع . ا . باشا » ناظر المعارف — ص ٤٢ ؛ و (ل . بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية — ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضحٌ فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس . ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يُخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ ..

ولقد كان للشيخ محمد عبده رأى فى الأصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى فكان كلام الدكتور فى هذا متقطع الوشائج : ذَكَرَهُ مواجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد اليه مقتضباً فى صفحة ١٣٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الاسلامية . ولو عقد فصلا مستقلا فى طريقة الاصلاح عند الامام لوجد الكلام واسعاً موصولا . كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة — الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مُصْدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعاً لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غُلٍّ قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » .

ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هواديها وتنكمش أعجازها... تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير قيد ، وتنكمش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختتم فى غير مختتم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضدّ من أوله .

هــــذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر يثب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما بند عنها وينبعث منهـا فى سكونها واضطرابها ؛ فى تألقها ، وانطفائها ؛ فى إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى النفوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا زال رهنا بما يدعم قوته فى المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمى فى الغرب ، فهى لا تزال محاولات أولية فى اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليـل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والغوص إلى مصدر تجاوبها الروحى والنفسى ، واتصال ذلك بنظرتها فى الحياة ودخله فى تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصـل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة فى ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها فى المكتبة الغربيـة ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاق إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التى تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث تجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع ، أو أن كل مافيه مبرأ من المآخذ التى يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل ترجع قيمته إلى أنه أول بحث فى اللغة العربية على ما أعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقـد تناوله ذهن منطق بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ فى هذا الجانب النفسى ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت فى آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات النزرية ؛ بل هو كمين فى ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما جود به الأقلام فى هـذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هـذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التى نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة مايحمل من نظريات لا يحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هـذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبى ذلك فى تقديم هـذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجنى ثمرها ؛ ويهدأ فى ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال فى « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده المفتى لم يُعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدى فى بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبـده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أنى أحببته محدثاً فى ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً فى الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

محمد عبد الغنى حسن